العفو في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور

الرفاعى محمد الرفاعى عبيد

الأستاذ المساعد بقسم التفسير

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

بالمنصورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . . وبعد

فإن الإسلام دين الكمالات والفضائل التي لا يمكن أن يتوفر عليها أى مذهب أو تتواجد فى أى دين ، وكمالا ت الإسلام من النوع الذى تتأصل فيه المنهجية والموضوعية ، وتتعمق فيه وشائج الرحم ، وأواصر القربى ، وعوامل الاتساق ، وتتلاقى فيه بواعث الحيوية والحركة التي تعانق الحياة ، وتواكب مرونتها ، وصبغتها التي فطر الله الناس عليها .

وفوق ذلك فإن من أبرز سمات المنهج الأخلاقى فى الإسلام اتصافه بالإحاطة والشمول ، وتفرده بدقة الوسيلة ونبل الغاية وقدسية الهدف الذى يستهدف بنه بناء النفس والفرد والأسرة والمجتمع .

بناء النفس متدرجا بها لترقى إلى مقام النفس المطمئنة،وبناء الفرد ليصبح قادرا على رعاية ذاته،وقيادة نفسه،واستكمال لشخصه

وبناء الأسرة حتى تستقيم على أمر الله صاعدة راشدة متوادة متماسكة .

وبناء المجتمع على أسس مكينة من حسن العلائق ، ووثيق الصلات ، وفضائل الأخلاق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والعفو فى الإسلام من ابرز الفضائل وأعلى القيم التي تسهم - إلى حد كبير - فى عملية البناء الإنسانى والاجتماعى .

وهو - أيضا - أحد كمالات الحق - تبارك وتعالى - وصفات جماله التي وجبت له ، والتي لها أكبر الأثر فى قبول الله لعباده ، وغفرانه لهم ، ورضاه عنهم .

كما أنه إحدى خلائق النبوة ، ومقومات القيادة التي فطر الله عليها سيد الخلق محمد ﷺ والتي كان لها كبير الأثر فى جاذبية القلوب إليه ، والتفاف الناس من حوله .

وخليقة العفو - موضوع بحثنا المتواضع هذا - إحدى النتائج الحيوية للنفس الهادئة ، والشعور الهادف والأفق الفسيح ، وأحد البراهين القاطعة على ضبط النفس ، وكفها عن الانطلاق وراء شهوة الانتقام ، وحب القصاص ، ومقابلة الإساءة بمثلها ، والرغبة فى التشفى وإذهاب الغيظ ، بالغلبة والانتصار .

لهذا - ولغيره - من سائر المزايا وكريم الغايات اهتم كتاب الله تعالى اهتماما ملحوظا بهذه الصفة النبيلة،والخصلة الرفيعة، فتحدث عنها فى العديد من آياته ، ونوه بفضلها ، وأعلى من قدرها ودعا إليها أولى العزم من الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - وندب إليها الكبار من الناس والعظماء من البشر الذين أنعم الله عليهم بسعة الصدر وطول النظر وشمول الرؤية وانفساح الأفق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فالناس بخير ما بقيت لهم قيم يتجاوزون بـــها عـــن المخطـــئ ويتسامحون بها عن المسئ ، ويتبادلون بها الصفح والعفـــو - فيمـــا بينهم - رغبة فى عفو الله وكرمه وعظيم ثوابه .

أجل . . لقد أشاد القرآن العظيم - كتاب الإسلام الخالد - بقيـــم التعاطف وخلال الود ، وخلائق البر والمعروف ، لتشيع فى ربـــوع الأمة ، وتسود بين البشر .

وفى نور الذكر الحكيم وهدى نبينا الكريم نتعايش مع العفو الذى حفل القرآن الكريم بالحديث عنه فى مواطن شتى بالغة حد الكـــثرة فى آياته النيرات .

وسنحاول - بتوفيق من الله تعالى - أن نرصد النظرة القرآنيـــة - على قدر المستطاع - وهو يدعو أتباعه إلى التخلق بـــهذه الخصلـــة الرفيعة وذلك من خلال الجوانب الآتية :

أولا : حقيقة العفو فى اللغة والاصطلاح

ثانيا : آيات العفو فى القرآن الكريم

ثالثا : عفو الله سبحانه وتعالى

رابعا : عفو الرسول ﷺ

خامسا : منهج القرآن فى الدعوة إلى العفو

سادسا : ثمار العفو ونتائجه الطيبة فى الدنيا والآخرة .

هذا . وقد وليت وجهى شطر مصنفات الإثبات من أهل العلـــم فأفدت منها ، وأشرت إليها فى مواضعها من البحث فإن من بركـــة العلم أن ينسب القول إلى صاحبه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما جاء في بحثي هذا من خير فهو من توفيق الله عز وجل ، وما قد يبدو فيه من تقصير ، فهو من نفسي ومن الشيطان والله ورسوله منه براء ، والله أسأل أن يوفقني - والمسلمين - إلى كل هدى وخير ، وأن يرزقنا العفو والعافية في ديننا ودنيانا وآخرتنا والله الموفق ، والحمد لله رب العالمين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولا : حقيقة العفو

١- حقيقة العفو فى اللغة :

قال الأصفهانى : " العفو : القصد لتناول الشئ ، يقال : عفاه ، واعتفاه أى : قصده متناولا ما عنده ، وعفت الريح الدار : قصدتها متناولة آثارها . . وعفوت عنه : قصدت إزالة ذنبه صارفا عنه ، فالمفعول - فى الحقيقة - متروك وعن متعلق بمضمو ، فالعفو هو : التجافى عن الذنب ، وقوله : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ [١] أى ما يسهل إنفاقه .

وأعفيت كذا : أى تركته يعفو ويكثر [٢] .

وقل صاحب اللسان : " هو التجاوز عن الذنب ، وترك العقاب عليه وأصله المحو والطمس .. .

قال ابن الأنبارى فى قوله تعالى : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم** ﴾ [٣] . محا الله عنك ، مأخوذ من قولهم عفت الرياح الآثار إذا درستها ومحتها ، وقد عفت الآثار تعفو عفوا لفظ اللازم والمتعدى سواء [٤] .

ونقل صاحب اللسان - أيضا - عن بعض أئمة اللغة أن الأصل فيه : الفضل ، أو الكثرة والفضل وقيل الفضل الذى يجيئ بغير كلفة ،

---

[١] سورة البقرة من آية : ٢١٩ .

[٢] المفردات بتصرف ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

[٣] سورة التوبة من آية : ٤٣ .

[٤] لسان العرب ٧٢/١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أو ما أتى بغير مسألة . . . وقال : عفا يعفو : إذا أعطى ، وعفا يعفو : إذا ترك حقا ، واعفى : إذا أنفق العفو من ماله وهو الفاضل على نفقته ، وعفا القوم : كثروا ، والعفو أحل المال وأطيبه .

وعفو كل شئ : خياره وأجوده ، وما لا تعب فيه .

وعفا الماء : إذا لم يطأه شئ يكدره ، وعفوة المال والطعام والشراب : خياره ، وما صفى منه وكثر [١] .

وقال صاحب القاموس : والمعافاة أى يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك [٢] .

وأعفى فلانا من الأمر : أسقطه عنه فلم يطالبه به ولم يحاسبه عليه [٣] .

ويبين ابن فارس – على طريقته المعروفة – معنى العفو في اللغة فيقول : عفو : العين والفاء والحرف المعتل أصلان يدل أحدهما على ترك الشئ والآخر على طلبه ، ثم يرجع إليه فروع كثيرة لا تتفاوت فى المعنى [٤] .

بعد هذا العرض الموجز لحقيقة العفو عند بعض علماء اللغة نستطيع أن نقول : إن للعفو فى اللغة معانى إيجابية أى وجودية وأخرى سلبية تدل على الترك .

---

(١) المرجع السابق بتصرف ١٥/٧٣ – ٧٦ .

(٢) القاموس المحيط ٤/٣٦٧ .

(٣) المعجم الوجيز ص ٤٢٥ .

(٤) معجم مقاييس اللغة ٤/٥٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ ـ فمن معانيه الإيجابية :

١- خالص الشئ وجيده

٢- الفضل الزائد فى الشئ أو منه

٣- السهل الذى لا كلف فيه .

٤- الشئ الذى يأتى بدون طلب أو بدون إحفاء ومبالغة فى الطلب . وهذه المعانى متقاربة كما هو واضح

٢- ب ـ ومن المعانى السلبية :

١- ترك الشئ أو بعض منه

٢- إزالة الشئ

وهذه المعانى ـ بنوعيها ـ كلها إحسان ورفق [١] .

٢- حقيقة العفو فى الاصطلاح :

للعلماء أقوال مختلفة تدور حول معنى واحد فى معنى العفو ، من تلك الأقوال :

قول العلامة الجمل : هو محو الذنوب عن العبيد [٢] .

وكذا قول القرطبى [٣] .

وقال القرطبى ـ أيضا ـ فى موضع آخر من تفسيره : " هو ترك المؤاخذة بالذنب " [٤] .

---

[١] تفسير المنار بتصرف ٩/٤٤٤ ، ٤٤٥ .

[٢] حاشية الجمل على الجلالين ١/٥٢ .

[٣] تفسيره ١/٤٣٧ .

[٤] المرجع السابق ١/٥٦٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال د / الشرباصى هو : التجافى عن الذنب (١) .

ويمكن لنا أن نقول فى تعريفه الاصطلاحى : أنه ترك المجازاة - عند القدرة - قولا وفعلا .

وببيان المعنى الاصطلاحى يظهر لنا - فى وضوح انسحاب المدلول اللغوى للعفو ،واستبطانه فى التعريف الاصطلاحى، ومن ثم يبدو الترابط الوثيق بين المعنى اللغوى والاصطلاحى ، والله أعلم .

هذا . . . **ويمكن أن يظهر العفو بحالات ثلاث :**

الحالة الأولى : كظم الغيظ

الحالة الثانية : الصفح عن الإساءة

الحالة الثالثة : الإحسان إلى المسيئ

وفى هذه الحالة الأخيرة لا يقف الشعور عند حد التغاضى عن الإساءة وقبولها وحسب ، بل والعمل على التودد إلى المسيئ ، وإشعاره بالمحبة ، وحسن التقرب إليه ، وهذا منتهى العفو ، وأعلى المشاعر الإنسانية ، ولا يبلغ هذه الدرجة الرفيعة من الإحسان إلا الإنسان المؤمن عندما تكون نفسه صافية ، وقلبه سليم ، وفكره ثاقبا مما يجعل عوامل الرحمة هى الأساس فى المعاملة ابتغاء مرضاة الله تعالى (٢) .

وثمة ألفاظ قد يظن أنها بمعنى العفو ، لكن الحقيقة - كما سيتضح لنا - أن بينها وبين العفو فروقا دقيقة من هذه الألفاظ :

---

(١) أدب الأحاديث القدسية ص ٣٤٥ .

(٢) التفسير الموضوعى للقرآن الكريم ، سميح عاطف الزين ٢١٢/٨ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١-الصفح:

قال الشيخ الصابونى: العفو : معناه الصفح والإسقاط [١] وهذا غلط فالصفح كما يقول فى المفردات : ترك التثريب وهو أبلغ من العفو لذلك قال تعالى : ﴿ **فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره** ﴾ [٢] وقد يعفو الإنسان ولا يفصح [٣] .

وقال القرطبى : العفو : ترك المؤاخذة بالذنب والصفح : إزالة أثره من النفس [٣] .

وفى تفسير المنار :العفو :ترك العقاب على الذنب والصفح:الإعراض عن الذنب بصفحة الوجه فيشمل ترك العقاب،وترك اللوم والتثريب [٤].أى أن الصفح أبلغ من العفو كما قال الراغب رحمه الله تعالى

وقال صاحب البحر المحيط : وقال قوم : لا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا فى الذنب [٥] .

٢- الغفران :

الغفر : يقول ابن فارس : غفر : الغين والفاء والراء أعظم بابه الستر ، ثم يشذ منه ما يذكر فالغفر : الستر [٦] .

---

(١) تفسير آيات الأحكام ١/١٧٠ .

(٢) سورة البقرة من آية : ١٠٩.

(٣) المفردات ص ٢٨٣ .

(٣) تفسير القرطبى ١/٥٦٦ .

(٤) تفسير المنار ١/٣٤٧ .

(٥) البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٠١ ، والدر المصون للسمين ١/٣٥٦ .

(٦) معجم مقاييس اللغة ٤/٣٨٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال الراغب : الغفر : إلباس ما يصونه عن الدنس . . والغفران والمغفرة من الله هو أن يصون العبد من أن يمسه العذاب . . . وقد يقال : غفر له : إذا تجافى عنه فى الظاهر ، وإن لم يتجاف عنه فى الباطن نحو : ﴿ **قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله** ﴾ [١] .

وقال السمين الحلبى : العفو يجوز أن يكون بعد العقوبة فيجتمع معها ، وأما الغفران فلا يكون مع عقوبة [٢] .

وبهذا يظهر الفرق الدقيق بين العفو والمغفرة ، وقد جاء الثلاثة فى قوله سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم** ﴾ [٣] . قال البيضاوى : ﴿ وإن تعفوا ﴾ عن ذنوبهم بترك المعاقبة ، ﴿ وتصفحوا ﴾ بالإعراض وترك التثريب عليها ﴿ وتغفروا ﴾ بإخفائها وتمهيد معذرتهم فيها [٤] .

وخلاصة القول أن العفو : عدم المعاقبة على الذنب والصفح : الإعراض عن الذنب والغفر ستر الذنب .

٣- من معانى العفو فى القرآن الكريم :

إذا كان هذا معنى العفو - فى اللغة والاصطلاح - فقد ورد فى

---

[١] سورة الجاثية من آية : ١٤ ، وانظر المفردات ٣٦٢ .

[٢] الدر المصون ٣٢٦/١ .

[٣] سورة التغابن آية : ١٤ .

[٤] تفسيره ٥٠٣/٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التنزيل الحكيم بمعان شتى لها بالمعنى اللغوى علائق قوية ، ووشائج متينة ، من تلك المعانى : مجيشه بمعنى :

١- التجافى عن الذنب كما فى قوله سبحانه : ﴿ **ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون** ﴾ [١] . وقوله سبحانه : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين** ﴾ [٢]

٢- ما يسهل قصده وتناوله كما فى قوله تعالى : ﴿ **خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ [٣] . قال صاحب الكشاف : (العفو) ضد الجهد أى : خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة [٤] ، وقيل بمعنى تعاطى العفو عن الناس [٥] .

٣- وفى المال على ما يفضل من النفقة كما فى قوله تعالى : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾ قال الشوكانى : والمعنى : أنفقوا ما فضل عن حوائجكم ولم تجهدوا فيه أنفسكم ، وقيل : هو ما فضل عن نفقة العيال [٦] .

---

[١] سورة البقرة آية : ٥٢ .

[٢] سورة التوبة آية : ٦٦ .

[٣] سورة الأعراف آية : ١٩٩ .

[٤] الكشاف ١٣٨/٢ .

[٥] المفردات ص ٣٣٩ .

[٦] فتح القدير ٢٢٢/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- الكثرة ، كما فى قوله سبحانه ﴿ **ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مسنا آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم يشعرون** ﴾ [١] المراد : أنهم كثروا فى أنفسهم وفى أموالهم ، أى : أعطيناهم الحسنة مكان السيئة حتى كثروا [٢] .

٥- الترك ، كما فى قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم** ﴾ [٣] ، والمعنى : تركها الله ولم يذكرها بشئ فلا تبحثوا عنها ، وهذا معنى صحيح [٤] .

٦- المحو : كما فى قوله سبحانه : ﴿ **عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين** ﴾ ، قال ابن الأنبارى : محا الله عنك مأخوذ من قولهم عفت الرياح الآثار إذا محتها [٥] .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٩٥ .
(٢) فتح القدير ٢/٢٢٧ .
(٣) سورة المائدة آية : ١٠١ .
(٤) فتح القدير ٢/٨١ .
(٥) لسان العرب ١٥/٧٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيا : آيات العفو فى القرآن الكريم

بمعايشتنا للقرآن الكريم تبين لنا أنه يذكر العفو - بغير لفظه الصريح فى مواضع عديدة منه - وسنذكر أمثلة لذلك فيما بعد .

وذكر لفظ العفو ومشتقاته أكثر من ثلاثين مرة فى إحدى عشرة سورة مكية ومدنية .

وقد آثرت أن أذكر - فيما يلى - تلك السور وأرقام الآيات التي جاء ذكر العفو فيها - دون نصوصها - وذلك لأمرين :

الأول : تيسيرا على طلاب الدراسات القرآنية ليسهل عليهم الرجوع إليها دون عناة

الثانى : ايثارا للإيجاز ، فنكون قد جمعنا بين الحسنيين ، فنقول وبالله - تعالى - التوفيق :

١- سورة البقرة فى آيات : ٥٢ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ٢١٩ ، ٢٣٧ ، ٢٨٦

٢- سورة آل عمران فى آيات : ١٣٤ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٩

٣- سورة النساء فى آيات : ٤٣ ، ٩٩ ، ١٤٩ ، ١٥٣

٤- سورة المائدة فى آيات : ١٣ ، ١٥ ، ٩٥ ، ١٠١

٥- سورة الأعراف فى آيتى : ٩٥ ، ١٩٩

٦- سورة التوبة فى آيتى : ٤٣ ، ٦٦ .

٧- سورة الحج فى آية : ٦٠

٨- سورة النور فى آية : ٢٢

٩- سورة الشورى فى آيات : ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٤٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٠- سورة المجادلة فى آية : ٢

١١- سورة التغابن فى آية : ١٤ (١) .

ومن الآيات التي ذكر العفو فيها بغير لفظه الصريح :

١- قوله تعالى : ﴿ إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا عن الله بما يعملون محيط ﴾ (٢)

٢- وقوله سبحانه ﴿ لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثير وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (٣)

٣- وقوله عز وجل ﴿ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ﴾ (٤)

٤- وقوله تباركت أسماؤه ﴿ واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين * لئن بسطت إلى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى إليك لأقتلك إنى أخاف الله رب العالمين * إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ﴾ (٥) .

---

(١) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص٤٦٦ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٢٠ .

(٣) سورة آل عمران آية : ١٨٦ .

(٤) سورة النساء آية : ١١٠ .

(٥) سورة المائدة الآيات ٢٧-٢٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- وقوله تبارك وتعالى : ﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ﴾ [١] .

٦- وقوله سبحانه ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾ [٢]

٧- وقوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هى أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين * وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [٣]

٨- وقوله عز وجل:﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم* وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾ [٤]

إلى غير ذلك من الآيات الوفيرة ، وخاصة تلك التي يذكر فيها الصبر بمناسبة العقوبة واحتمال أذى المعتدين . . إلخ .

---

[١] سورة الرعد آية : ٦ .

[٢] سورة الحجر آية : ٨٥ .

[٣] سورة النحل الآيات : ١٢٥-١٢٨ .

[٤] سورة فصلت الآيتان ٣٤ ، ٣٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : عفو الله سبحانه وتعالى

المعصية سواء كانت فعلا لمنهى عنه ، أو تركا لمأمور بـ
تلوث يصيب النفس ، فيحجب عنها شعاع الحق ، ونـور اليقين
والنفس الإنسانية حين تصاب بشئ مـن هـذا الخلـل الطـارئ
والاضطراب العارض ، تحتاج إل حركة تتخلص بـها مـن هـذه
الأثقال ، حتى يعود إليها صفاؤها ، لتكون أهلا لرضا الله سبحانه .

ومن فضل الله ورحمته بعباده ، أنه لا يبخل بعفوه عمـن أراد
ولا يحجب صفحه عمن سلك السبيل إليه .

وقد سمى الحق نفسه عفوا ، والعفو كما يقول العلامة الجمل ذو
العفو وهو ترك المؤاخذة على ارتكاب الذنـب ، وهـو أبلـغ مـن
المغفرة ، فإنها مشتقة من الغفر - وهو الستر - والعفو :
إزالة الأثر ، ومنه : عفت الديار ، ولأن الغفران يشعر بالستر
والعفو بالمحو ، والمحو أبلغ من الستر ، وقيل معناه الـذى يمحـو
السيئات ، ويتجاوز عن المعاصى ، وحظ العبد منه أن يعفو عن كل
من ظلمه ولا يقطع بره عن أحد بسبب مـا حصـل منـه ، قـال
تعـالى : ﴿ **وليعفـوا وليصفحـوا ألا تحبـون أن يغفـر الله لكـم**
والله غفور رحيم ﴾ [١] فإنه متى فعل ذلك فالله تعالى أولى أن يفعـل
به ذلك لأنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين [٢] .

---

(١) سورة النور من آية : ٢٢ .

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ٢/٦٦٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أ - وإننا نلمح - فى كل مظهر من مظاهر الحياة قديما وحديثا - آثار هذه الصفة الإلهية الجليلة ، ولو أنه تعالى عاملنا بما نستحق لعاجلنا بالعقوبة ، ولأنزل نقمته العاجلة علينا .

وفى قصص السابقين مشاهد حية على عفو الله وصفحه عن عباده تحدث عنها ربنا فى محكم التنزيل .

قال تعالى : ﴿ **وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون** ﴾ [1]

يقول القاسمى فى تفسيره :

﴿ وإذ واعدنا موسى ﴾ أى بعد فراغه من معاملة آل فرعون وإهلاكهم .

﴿ أربعين ليلة ﴾ أى لنعطيه - عند انقضائها - التوراة لتعملوا بها وقد روى فى ترجمة التوراة : أنه تعالى قال لموسى : اصعد إلى الجبل ، وكن هناك فأعطيك ألواحا من حجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعلمهم ، فصعد موسى إلى الجبل ، وبقى هناك أربعين يوما وأربعين ليلة .

﴿ ثم اتخذتم العجل ﴾ أى إلها ومعبودا

﴿ من بعده ﴾ من بعد مضيه للميقات

﴿ ثم عفونا عنكم ﴾ أى فى وضع العبادة فى غير موضعها

﴿ من بعد ذلك ﴾ أى الاتخاذ والظلم القبيح

---

(١) سورة البقرة الآيتان ٥١ ، ٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ لعلكم تشكرون ﴾ لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا على ذلك على الطاعة [١] .

ويقول الإمام ابن كثير : يقول تعالى واذكروا نعمتى عليكم فى عفوى عنكم ، لما عبدتم العجل بعد ذهاب موسى لميقات ربه عز انقضاء أمد المواعدة وكانت أربعين يوما وهى المذكورة فى الأعراف فى قوله تعالى ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر** ﴾ [٢]

قيل : إنها ذو القعدة بكماله وعشر من ذى الحجة ، وكان ذلك بعد خلاصهم من فرعون وإنجائهم من البحر [٣] .

وهكذا نرى أن العفو من الله سبحانه نعمة كبرى تستحق شكره تبارك وتعالى .

ويقول تعالى : ﴿ **يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا** ﴾ [٤]

يقول المراغى فى تفسيره : أخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : إن اليهود قالوا لمحمد ﷺ لن نبايعك على ما تدعونا إليه حتى

---

(١) تفسير القاسمى ٢٩٠/١ بتصرف .
(٢) سورة الأعراف من آية : ١٤٢ .
(٣) تفسير ابن كثير ٩١/١ .
(٤) سورة النساء آية : ١٥٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تأتينا بكتاب من عند الله يكون فيه (من الله تعالى إلى فلان أنك رسول الله وإلى فلان إنك رسول الله) .

وهكذا ذكروا أسماء معينة من أخبارهم وما مقصدهم من ذلك إلا التعنت والتحكم لا لطلب الحجة لأجل الاقتناع .

وقال الحسن : لو سألوه ذلك استرشادا لأعطاهم ما سألوا فلقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة : أى عيانا ننظر إليه ونشاهده أى : لا تعجب ايها الرسول من سؤالهم وتستنكره فقد سألوا موسى أكبر من ذلك وكل من السؤالين يدل على جهل أو عناد ذلك أن سؤال الرؤية جهرة دليل على الجهل بالله إذ هم ظنوا أن الله جسم محدود تدركه الأبصار .

وأما سؤال إنزال الكتاب فهو دليل إما على العناد لأنهم اقترحوا ما اقترحوا تعجيزا ومراوغة ، وإما على الجهل بمعنى النبوة والرسالة ، مع ما ظهر فيهم من أنبياء - إذ هم لا يميزون بين الآيات الصحيحة التي يؤيد الله بها رسله وبين الشعوذة وحيل السحر المخالفة للعادة وكتبهم قد بينت لهم أنه يقوم فيهم أنبياء كذبه ، وأن النبى يعرف بدعوته إلى التوحيد والحق لا بمجرد أعجوبة يعملها كما نصت عل ذلك التوراة فى سفر تثنية الاشتراع ، وغيره

ثم يقول :

﴿ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ الصواعق : نيران جوية تنشأ من اتحاد الكهرباء الموجبة بالكهرباء السالبة .

وقوله (بظلمهم) أى بسبب ظلمهم ، أى :

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن الله تعالى عاقبهم على جهلهم بإنزال الصاعقة عليهم عقابا لهم إذ شبهوا الخالق بالمخلوق ، ورفعوا أنفسهم فوق أقدارها ، كما قال تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ (١) .

﴿ ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك ﴾ أى وبعد أن جاءتهم المعجزات على يد موسى - عليه السلام - من قلب العصا حية ، واليد بيضاء ، وفلق البحر ، وغيرها ، اتخذوا العجل إلها وعبدوه ، فعفونا عن ذلك الذنب حين تابوا ، فتوبوا أنتم مثلهم حتى نعفو عنكم مثلهم .

﴿ وآتينا موسى سلطانا مبينا ﴾ السلطان - هنا - بمعنى السلطة أى أننا أعطيناه سلطة ظاهرة فأخضعناهم له على تمردهم وعنادهم حتى فى قتل أنفسهم (٢) .

وقال تعالى : ﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ (٣)

يقول الحافظ بن كثير - رحمه الله - فى تفسيره :

﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ قال ابن عباس وعدهم بالنصر ، وإن ذلك كان يوم أحد ، لأن عددهم كان ثلاثة آلاف مقاتل ، فلما

---

(١) سورة الأنعام من آية : ٩١ .
(٢) تفسير المراغى ٣٤٧/٢ ، ٣٤٨ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل بعض المقاتلة تأخر الوعد الى كلن مشروطا بالثبات والطاعة ، ولهذا قال ﴿ ولقد صدقكم الله وعده ﴾ أى أول النهار ﴿ تحسونهم ﴾ أى تقتلونهم ﴿ بإذنه ﴾ أى بتسليطه إياكم عليهم .

﴿ حتى إذا فشلتم ﴾ قال ابن جريج قال ابن عباس : الفشل : الجبن ، ﴿ وتنازعتم فى الأمر وعصيتم ﴾ كما وقع للرماة ﴿ من بعد ما أراكم ما تحبون ﴾ وهو الظفر بهم ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ وهم الذين رغبوا فى المغنم حين رأوا الهزيمة ، ﴿ ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ﴾ أى ثم أدالكم عليهم ليختبركم ويمتحنكم ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ أى غفر لكم ذلك الصنيع وذلك والله أعلم لكثرة عدد العدو وعددهم وقلة عدد المسلمين وعددهم ، قال ابن جريج ﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ لم يستأصلكم [1]

ويذكر صاحب الظلال - رحمه الله - أن الله قد عفا عن كل ما وقع منهم رحمة منه وفضلا ، لما يعلم - سبحانه - وهو خالقهم أنهم ضعاف بحكم طبيعتهم البشرية فيقول :

﴿ ولقد عفا عنكم ﴾ عما وقع منكم من ضعف ، ومن نزاع ، من عصيان وعفا لذلك عما وقع منكم من فرار وانقلاب وارتداد عفا عنكم فضلا منه ومنة ، وتجاوزا عن ضعفكم البشرى

---

[1] تفسير ابن كثير ٤١١/١ ، ٤١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الذى لم تصاحبه نية سيئة ولا إصرار على الخطيئة (١).

وعن السر فى ختم الآية بقوله سبحانه ﴿ والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ يقول أبو السعود فى تفسيره :

تذييل مقرر لمضمون ما قبله ، ومؤذن بأن ذلك العفو بطريق التفضل والإحسان لا بطريق الوجوب عليه أى : شأنه أن يتفضل عليهم بالعفو ، أو هو متفضل عليهم فى جميع الأحوال أديل لهم أو أديل عليهم إذ الابتلاء أيضا رحمة والتنكير للتفخيم .

وعن المراد بالمؤمنين فى القول الكريم يقول :

والمراد بالمؤمنين إما المخاطبون - والإظهار فى موقع الإضمار للتشريف والإشعار بعلة الحكم وإما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا أوليا (٢) .

وعن مجموعة الرماة الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ فى غزة أحد أيضا أو من هرب إلى المدينة فى الهزيمة (٣) يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم ﴾ (٤)

يقول صاحب الظلال :

ومن هنا كان الاستغفار من الذنب هو أول ما توجه به الربيون الذين قاتلوا مع النبيين فى مواجهة الأعداء ، الاستغفار الذى يردهم

---

(١) فى ظلال القرآن ٤٩٤/١ .

(٢) إرشاد العقل السليم ٩٩/٢ .

(٣) ينظر تفسير القرطبى ١٥٨٩/٢ .

(٤) سورة آل عمران آية : ١٥٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلى الله ، ويقوى صلتهم به ، ويسد الثغرة التي يدخل منها الشيطان ، ثغره الانقطاع عن الله ، والبعد عن حماه ، هذه الثغرة التي يدخل منها فيزل أقدامهم مرة ومرة حتى ينقطع بهم فى التيه بعيدا عن الحمى الذى لا ينالهم فيه ويحدثهم الله أن رحمته أدركتهم ، فلم يدع الشيطان ينقطع بهم ، فعفا عنهم ويعرفهم بنفسه - سبحانه - فهو غفور حليم ، لا يطرد الخطاة ولا يعجل عليهم متى علم من نفوسهم التطلع إليه ، والاتصال به [١] .

ب - وعفو الله - تعالى - هو حبل النجاة لأهل الذنوب وباب الأمل لمن ضعت نفوسهم عن مقاومة الهوى ومدافعة نزعات الشيطان .

ولولا عفو الله لأظلمت الحياة ، ولأقفرت من المعانى النبيلة ، ولأصبحت عبئا على الإنسان وجحيما لا يطاق فلا غرو أن الرحمن الرحيم العالم بأسرار النفوس وخفايا الصدور ، وبضعف الإنسان الفطرى أمام هواه وأمام الشيطان ، لا غرو أنه - سبحانه - لم يسلمنا لليأس يمزق فينا النفوس ويفتت الأرواح بعد كل انحراف ، ففتح لنا طريق العودة ويسر لنا سبيل الهدى والرشاد .

وهاهو ربنا الرءوف الرحيم يقول : ﴿ **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون** ﴾ [٢]

يقول ابن كثير عليه الرحمة :

يقول تعالى ممتنا على عباده بقبول توبتهم إليه إذا تابوا ورجعوا

---

[١] الظلال ٤٩٧/١ ، ٤٩٨ ، بتصرف .

[٢] سورة الشورى آية : ٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إليه ، أنه من كرمه وحلمه أنه يعفو ويصفح ويستر ويغفر ﴿ وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ﴾

أى يقبل التوبة فى المستقبل ويعفو عن السيئات فى الماضى ﴿ ويعلم ما تفعلون ﴾ أى هو عالم بجميع ما فعلتم وصنعتم وقلتم ومع هذا يتوب على من تاب إليه (١) .

وقال سبحانه : ﴿ **وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير** ﴾ (٢)

يقول الألوسى فى تفسيره .

﴿ وما أصابكم من مصيبة ﴾ أى مصيبة كانت من مصائب الدنيا كالمرض وسائر النكبات ﴿ فبما كسبت أيديكم ﴾ أى فبسبب معاصيكم التي اكتسبتموها .

﴿ ويعفو عن كثير ﴾ أى من الذنوب فلا يعاقب عليها (٣)

أقول ، وقد جاء الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال : " لا تصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر "

قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٤) وقال على - رضى الله عنه - هذه الآية أرجى آية فى كتاب الله ،

---

(١) تفسير ابن كثير ١١٤/١ ، ١١٥ بتصرف .

(٢) سورة الشورى آية : ٣٠ .

(٣) تفسير الألوسى ٤٠/٢٥ ، ٤١ .

(٤) رواه الترمذى بسنده عن أبى موسى ، كتاب التفسير حديث رقم ٣٢٥٢ تحفة الأحوذى ١٠٥/٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإذا كان يكفر بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه [١] !! .

وقال الواحدى : هذه أرجى آية فى كتاب الله لأن الله جعل ذنوب المؤمنين صنفين :

صنف كفره عنهم بالمصائب فى الدنيا ، وصنف عفا عنه فى الدنيا ، ، وهو كريم لا يرجع فى عفوه ، وهذه سنة الله مع المؤمنين وأما الكافر فلأنه لا يعجل عليه عقوبة ذنبه حتى يوافى ربه يوم القيامة [٢] .

وقال سبحانه : ﴿ **ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام * إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور * أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير** ﴾ [٣]

أى : ومن علاماته الدالة على قدرته السفن الجارية فى البحر كأنها - من عظمها - أعلام - أى جبال - إن يشأ يسكن الريح - فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجرى ، وفى هذا دلالات ، وعلامات لكل صبار على البلوى شكور على النعماء ، وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أى يغرقهن بذنوب أهلها أو يوبق أهل السفن ، ويعف عن كثير : من أهلها فلا يغرقهم [٤] .

---

(١) تفسير القرطبى ٦٠٧٤/٩ .

(٢) تفسير الفخر ١٧٣/٢٧ .

(٣) سورة الشورى آيات : ٣٢ - ٣٤ .

(٤) تفسير القرطبى ٦٠٧٦/٩ ، ٦٠٧٧ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الفخر :

فإن قيل فما معنى إدخال العفو فى حكم الإيباق حيث جعله مجزوما مثله ؟ قلنا : معناه : إن يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم (١) .

وهو - سبحانه - يرزق عباده ويعافيهم رغم أذاهم له - جل وعلا - ففى البخارى عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : " ليس أحدا - أو ليس شئ - اصبر على أذى سمعه من الله ، وإنهم ليدعون له ولدا ، وإنه ليعافهم ويرزقهم " (٢) .

قال ابن حجر : قوله (اصبر على أذى) هو بمعنى الحلم أو أطبق الصبر لأنه بمعنى الحبس ، والمراد به : حبس العقوبة على مستحقيها عاجلا ، وهذا هو الحلم (٣) .

جـ وفى العبادات يعفو الله عن عباده ويرفع عنهم الحرج ، وييسر عليهم - برحمته - أمر طاعته .

يقول سبحانه : ﴿ **أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى**

---

(١) تفسير الفخر ٢٧/١٧٥ .

(٢) رواه البخارى ك الأدب ، باب الصبر فى الأذى ، فتح البارى ١٠/٤٢٠ ، ٤٢١

(٣) السابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياتـــه للنـــاس لعلهم يتقون ﴾ [١]

قال السيوطى : روى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبـــد الرحمن بن أبى ليلى عن معاذ بن جبـــل قـــال : " كـــانوا يـــأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثـــم إن رجلا من الأنصار يقال له قيس بن صرمة صلى العشاء ثم نـــام ، فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح ، فاصبح مجهودا ، وكان عمر قـــد أصاب من النساء بعد ما نام فأتى النبى ﷺ فذكر ذلـــك لـــه فـــأنزل الله الآية [٢] .

ولهذا الحديث شواهد ، فقد أخرج البخارى عن البراء رضـــى الله عنه قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائما فحضـــر الإفطار ، فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمســـى وإن قيس بن صرمة الأنصارى كان صائما فلما حضر الإفطار أتـــى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت لا ، ولكن انطلق ، فـــأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عيناه فجاءته امرأته فلما رأته قالت خيبة لك ، فلما انتصف النهار وغشى عليه ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فـــنزلت هذه الآية ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ ففرحـــوا بـــها فرحا شديدا [٣] .

---

[١] سورة البقرة آية : ١٧٨ .

[٢] أسباب النزول ص ٣١ .

[٣] أخرجه البخارى ك الصوم باب قول الله جل شأنه ﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلـــى نسائكم ﴾ فتح البارى ١٠٤/٤ ، ١٠٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والمعنى : أن الله - سبحانه - قد أحل لكم ليلة الصيام قربان نسائكم ، وقد علمنا أن النزاهة فى التعبير عن هذا الأمر حين الحاجة إليه بعبارات مبهمة - فقال ﴿ الرفث إلى نسائكم ﴾ - وقد رخص لكم المعاشرة والمخالطة لنسائكم ليلة الصيام لأنه من العسير عليكم أن تجتنبوهن ومن الصعب عليكم الصبر عنهن ، وقد علم الله سبحانه أنكم كنتم تختانون أنفسكم ، أى لو دام ذلك التكليف الشاق - من حرمة قربان النساء ليلة الصيام - لوقعوا فى الخيانة أو أن بعضهم قد وقع فيه فعلا ؛ ولكنه تعالى تاب عليهم وعفا عنهم ، وخفف عنهم وأباح لهم ليلة الصيام الطعام والشراب والاستمتاع بالنساء ليظهر فضله عليهم ورحمته بهم ، واستثنى سبحانه من عموم إباحة المباشرة مباشرتهن وقت الاعتكاف ، لأنه وقت تبتل وطاعة ، وانقطاع للعبادة ، ثم ختم تعالى الآية الشريفة بالتحذير من مخالفة أمره ، وارتكاب المحرمات والمعاصى - التي هى حدود الله - وقد بينها لعباده حتى يجتنبوها ويلتزموا بالتمسك بشريعة الله ليكونوا من المتقين [1] .

ويقول سبحانه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابرى سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء

---

[1] ينظر تفسير الفخر ١٠٧/٥ ، وتفسير آيات الأحكام للصابونى ١٩٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه إن الله كان عفوا غفورا ﴾ [١]

سبب النزول :

روى الترمذى عن علىبن أبى طالب - كرم الله وجهه - أنه قال : صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما ، فدعانا ، وسقانا من الخمر ، فأخذت الخمر منا ، وحضرت الصلاة ، فقدمونى فقرأت ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون ﴾ قال فأنزل الله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح [٢] .

معنى الآية :

نهى الله - فى الآية - عباده المؤمنين أن يصلوا حالة السكر ، لأن هذه الحالة لا يتأتى معها الخشوع والخضوع عند مناجاته - تعالى - فى الصلاة وقد كان هذا قبل أن تحرم الخمر تحريما نهائيا ، ونهاهم كذلك - أن يقربوا محال الصلاة - المساجد حال الجنابة ، إلا أن يكون اجتيازا من باب إلى باب من غير مكث ، وإن كنتم مرضى ويضركم استعمال الماء أو مسافرين ولم تجدوا ماء تتطهرون به فاقصدوا صعيدا طيبا من وجه الأرض فتطهروا به ، فامسحوا بوجهكم وأيديكم منه ثم صلوا ، ذلك رحمة من الله

---

[١] سورة النساء آية : ٤٣ .

[٢] رواه الترمذى ك التفسير رقم ٣٠٢٦ ، تحفة الأحوذى ٣٢١/٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتيسير عليكم ، لأنه سبحانه يريد بكم اليسر ﴿ إن الله كان عفوا غفورا ﴾ ومن عفوه عنكم وغفرانه لكم أنه شرع لكم التيمم وأباح لكم فعل الصلاة به إذا فقدتم الماء ، توسعة عليكم ، ورخصة لكم [١] .

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/٥٠٥ ، ٥٠٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السبيل إلى عفو الله تعالى

عفو الله تعالى عن عباده نعمة كبرى ومنة عظمى من الله العزيز الوهاب وما عند الله - سبحانه - لا ينال إلا بطاعته واتباع منهجه القويم ، صحيح أن رحمة الله وسعت كل شئ ، كما أن علمه - سبحانه - وسع كل شئ ، وهو ما قاله الملائكة فى دعائهم - كما حكى القرآن العظيم ﴿ ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ﴾ لكنهم قالوا بعد ذلك : ﴿ فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ (١) .

وقال تعالى فى خطابه لكليمه موسى عليه السلام ﴿ قل عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ ﴾ فجعل العذاب خاصا ، والرحمة عامة ، لكنه تعالى عقب على ذلك ، فقال عن هذه الرحمة ﴿ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى . . . ﴾ (٢)

وقال سبحانه : ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٣) .

إن الرجاء فى عفوه تعالى يتطلب عملا يقرب المرء من هذا العفو العظيم ، يقول الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم ﴾ (٤) .

---

(١) سورة غافر آية : ٧ .

(٢) سورة الأعراف آية : ١٥٦ ، ١٥٧ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٥٦ .

(٤) سورة البقرة آية : ٢١٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فلم يقرر لهم الرجاء إلا بعد اجتياز هذه المراحل الصعبة . إن الرجاء فى عفوه تعالى ومغفرته مطلوب من كل مسلم مهما كثرت معاصيه وعظمت خطاياه فهو من ضرورات السير إلى الله تعالى ، لكن لا ينبغى أن يرجو الإنسان ثمرة دون البذر ورعايتها ، وتولى سقايتها ، فإن المبالغة فى الرجاء بغير عمل يقدم ، أو جهد يبذل يعتبر نوعا من الأمن من مكر الله تعالى ، وهو باب الخسران يقول سبحانه : ﴿ **أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون** ﴾ (١) .

ولنتأمل جيدا قول الله سبحانه عن قوم كانوا مستضعفين فى الأرض : ﴿ **إن الذى توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا** ﴾ (٢) .

يقول صاحب الكشاف :

فإن قلت : لم قيل : ﴿ عسى الله أن يعفو عنهم ﴾ بكلمة الأطماع ؟ قلت : للدلالة على أن ترك الهجرة أمر مضيق لا توسعة

---

(١) سورة الأعراف آية : ٩٩ .

(٢) سورة النساء الآيات ٩٧-٩٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فيه ، حتى إن المضطر البين الاضطرار من حقه أن يقول : عسى الله أن يعفو عنى فكيف بغيره ؟ [١] .

ويقول سبحانه عن جماعة من المنافقين : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولون إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين** ﴾ [٢]

قال الألوسى :

أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن قتادة قال : بينما رسول الله ﷺ فى غزوته إلى تبوك إذ نظر إلى أناس بين يديه من المنافقين يقولون : أيرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال : احبسوا على هؤلاء الركب فأتاهم ، فقال ﷺ قلتم كذا وكذا ، قالوا يا نبى الله إنما كنا نخوض ونلعب . . . فنزلت : ﴿ إن نعف عن طائفة منكم ﴾ لتوبتهم وإخلاصهم على أن الخطاب لجميع المنافقين ، أو لتجنبهم عن الإيذاء والاستهزاء على أن الخطاب للمؤذين والمستهزئين منهم ، والعفو فى ذلك عن عقوبة الدنيا العاجلة ﴿ نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾ أى مصرين على النفاق ، وهم غير التائبين ، أو مباشرين له وهم غير المجتنبين [٣] .

---

[١] الكشاف ٥٥٧/١ .

[٢] سورة التوبة الآيتان ٦٥ ، ٦٦ .

[٣] تفسير الألوسى ١٣٠/١٠ ، ١٣١ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد بينت آيات كثيرة - من القرآن العظيم - ما يجعل الإنسان أهلا لعفو الله سبحانه ومغفرته حتى يسير كل إنسان على هذا الطريق ، ويحاول - جاهدا - تحصيل تلك الأسباب التي تجعله قريبا من رحمة الله سبحانه وعفوه ، من تلك الأسباب :

١- تقوى الله سبحانه وتعالى ، أى الالتزام بشرعه تعالى ، وذلك بفعل المأمورات وترك المحظورات

٢- تطهير النفس وتزكيتها بمعالى الأمور ، وتطهير المال بإخراج زكاته

٣- التصديق بآيات الله المنزلة على نبيه محمد ﷺ والعمل بمقتضاها

٤- اتباع الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ والتزام منهاجه المنير ظاهرا وباطنا ، قولا وفعلا فى كل ما جاءنا به عن ربه عز وجل .

ذلك ما تنطق به هذه الآيات الكريمة :

﴿ قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ﴾

ولاشك أن العفو باب عظيم من أبواب رحمته تعالى لخلقه .

٥- التوبة النصوح الخالصة الصادقة ، التي تمحو ما قبلها من السيئات ، وتلم شعث التائب ، وتجمعه ، وتكفر عنه ما كان يتعاطاه من الدناءات

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- إصلاح العمل السيئ بأن يتبعه بعمل صالح ، يضيع أثره السيئ من النفس ، حتى يعود إليها صفاؤها وبهاؤها .

وفى القرآن العزيز آيات وفيرة تنبئ عن تكفير السيئات ومحو الخطايا لمن تاب وآمن وعمل صالحا ، من ذلك : قوله سبحانه : ﴿ **فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم** ﴾ [١] ، وقوله تعالى : ﴿ **ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم** ﴾ [٢] ، وقال عز وجل : ﴿ **وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم** ﴾ [٣] .

يقول المراغى فى تفسير الآية الأخيرة :

يبين الله أصلا من أصول الدين فى هذه الرحمة للمؤمنين فيقول : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾

أى من عمل منكم عملا تسوء عاقبته ، للضرر الذى حرمه الله لأجله ، حال كونه ملتبسا بجهالة تدفعه إلى لك السوء كغضب شديد حمله على السب والضرب ، ثم تاب ورجع عن ذلك السوء ، نادما عليه ، خائفا من عاقبته ، وأصلح عمله بأن اتبع ذلك العمل

---

[١] سورة المائدة آية : ٣٩ .

[٢] سورة النحل آية : ١١٩ .

[٣] سورة الأنعام آية : ٥٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السيئ بعمل يضاده ، ويذهب أثره من قلبه ، حتى يعود إلى النفس ذكاؤها ، وطهارتها ، وتصير أهلا للقربى من ربها ، فشأنه تعالى فى معاملته أنه واسع المغفرة والرحمة ، فيغفر له ما تاب عنه ، ويتغمده برحمته وإحسانه [١] .

٧- معاملة الناس بالعفو والصفح والتجاوز عن هفواتهم ، يقول سبحانه : ﴿ **ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفو وليصفحو ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم** ﴾

نزلت هذه الآية حين حلف أبو بكر رضى الله عنه ألا ينفق على مسطح شيئا أبدا - وكان ممن خاض فى أمر الإفك - وذلك بعد رأى الصديق براءة ابنته - ونزل فى ذلك قرآن يتلى إلى يوم القيامة وكان مسطح هذا ابن خالة الصديق ، وممن شهد بدرا ، وكان كذلك من فقراء المهاجرين الأولين رضى الله عنهم أجمعين [٢] .

يقول الألوسى رحمه الله :

﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ أى بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿ والله غفور رحيم ﴾ مبالغ فى المغفرة والرحمة ، مع كمال لقدرته سبحانه على المؤاخذة ، وكثرة ذنوب العباد الداعية إليه .

---

[١] تفسير المراغى ٣/١١٥ .

[٢] ينظر تفسير الالوسى ١٨/١٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثم يقول : وفيه ترغيب عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته كأنه قيل : ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ فهذا موجباته .

وصح أن أبا بكر لما سمع الآية قال : بلى والله يا ربنا إنا لنحب أن تغفر لنا وأعاد له نفقته [١] .

فلنتخلص من أثقالنا ، ولنعد إلى عفو الله ، فبابه مفتوح لمن يجد الخطا ، ويحسن المسير إليه ، ولنطلب من الله الكريم أن يمنحنا جميل صفحه ، ونبيل عفوه ، فقد قال لنا رسول الله ﷺ " إن الله تعالى عفو يحب العفو " [٢] .

ولأنه سبحانه يحب العفو فها هو ذا رسول الله ﷺ يأمرنا - وهو الحريص علينا - أن نسأله سبحانه العفو والعافية ، فيقول عليه الصلاة والسلام : سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية [٣] .

قال فى النهاية : العافية أن تسلم من الأسقام والبلايا وهى الصحة ضد المرض بعد اليقين بعد الإيمان خيرا من العافية .

قال الطيبى : وهى السلامة من الآفات فيندرج فيها العفو [٤] .

---

[١] المرجع السابق .

[٢] رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن مسعود ورمز له بالصحة وقال رواه الحاكم : الجامع الصغير : ٧٠/١ .

[٣] رواه الترمذى عن أبى بكر وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ك الدعوات ج رقم ٣٥٥٨ . تحفة الأحوذى ٣/١٠ ، ٤ .

[٤] المرجع السابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وهذه سيدتنا عائشة - أم المؤمنين - رضى الله عنها - قالت : قلت يا رسول الله رأيت إن علمت أى ليلة ليلة القدر ما أقول فيها ؟ قال قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى

قال هذا حديث حسن صحيح [١] .

وفى القرآن العزيز - أيضا - علمنا الله كيف ندعوه ، وجعل طلب العفو والمغفرة - من هذه الدعوات المباركة التي وجه الله إليها عباده ، فقال سبحانه : ﴿ **لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾ [٢] .

بعد أن بين الله تعالى حال المؤمنين فى السمع والطاعة وطلبهم المغفرة مما يتهمون به نفوسهم من التقصير وذكر فضله على عباده فى عدم تكليفهم ما لا يطيقون علمهم أربعة أنواع من الدعاء يدعون بها ربهم :

النوع الأول : فى قوله سبحانه : ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾

ولأن الخطأ والنسيان معفو عنهما ، فما فائدة طلب العفو عنهما ؟ أجاب أهل العلم عن ذلك بوجوه :

---

[١] رواه الترمذى ك الدعوات ح رقم ٣٥١٣ ، تحفة الأحوذى ٣٩٥/٩ .

[٢] سورة البقرة آية : ٢٨٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

منها ما نقله القاسمى فى تفسيره وهو أنه لما كان طالب العفو الرسول ﷺ والأنصار والمهاجرين ومن على شاكلتهم ، فكأنهم يعدون النسيان من العصيان ، والخطأ من الخطيئة .

وقيل فى معنى الآية : لا تعاقبنا إن تركنا أمرك ، أو اكتسبنا خطيئة على أن يكون النسيان بمعنى الترك والخطأ بمعنى الخطيئة ، وعليه فلا إيراد [١] .

وقال المراغى فى تفسيره :

النسيان قد يكون من عدم العناية بالشئ وترك إجالة الفكر فيه ليستقر فى النفس ، ومن ثم ينسى الإنسان ما لا يهمه ويحفظ ما يهمه ، ويؤاخذ الناس بعضهم بعضا بالنسيان ولاسيما نسيان الأدنى لما يأمره به الأعلى فإنه إن لم يفعل ما يأمره به نسيانا رماه بالإهمال والتقصير ، وآخذه على ذلك .

وكذلك الخطأ ينشا من التساهل وعدم الاحتياط والتروى ، ومن ثم أوجبت الشريعة الضمان فى إتلاف الشئ خطأ .

ثم قال : والخلاصة : أن المراد من الآية أن الخطأ والنسيان مما يرجى العفو عنهما إذا وقع الإنسان فيهما بعد بذل الجهد والتفكير وأخذ الدين بقوة ، ثم لجأ إلى الدعاء الذى يقوى فى النفس خشية الله ورجاء فضله فيكون هذا الإقبال نورا تنقشع به ظلمة ذلك التقصير [٢] .

---

[١] تفسير القاسمى ٦٤٢/١ ، ٦٤٣ .

[٢] تفسير المراغى ٤٤٤/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النوع الثانى:

﴿ ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ﴾

أى لا تكلفنا بما يشق علينا فعله ، كما كلفت من قبلنا من الأمم ، وفى تعليمنا هذا الدعاء بشارة بأنه لا يكلفنا ما يشق علينا كما صرح بذلك فى قوله : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾[1] وامتنان علينا وإنعام لنا فإنه كان يجوز ان يحمل علينا الإصر ، فيجب علينا أن نشكره لذلك ، فنحن ندعوه استشعار للنعمة والشكر عليها [٢] .

النوع الثالث :

﴿ ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾

من البلاء والعقوبة أو من التكاليف التي لا تفى بها الطاقة البشرية [٣] .

النوع الرابع :

﴿ واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾

وإنما حذف النداء - وهو قول ربنا - هاهنا ، لأن النداء أشعر بالبعد ، فترك النداء يؤذن بأن العبد إذا واظب على التضرع والدعاء نال مقام القربى والزلفى من الله .

---

(١) سورة الحج من آية : ٨٧ .

(٢) تفسير المراغى ١/ ٤٤٥ .

(٣) تفسير البيضاوى ٥٩٩/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والفرق بين العفو والمغفرة والرحمة أن العفو إسقاط العذاب ، والمغفرة أن يستر عليه بعد ذلك جرمه صونا له عن عذاب التخجيل ، والفضيحة ، فإن الخلاص من عذاب النار إنما يطلب إذا حصل عقيبة الخلاص من عذاب الفضيحة ، وبعد التخلص منهما أقبل على طلب الثواب وهما قسمان جسمانى وهو نعيم الجنة ، وطيباتها ، وهو قول ﴿ وارحمنا ﴾ وروحانى وهو إقبال العبد بكليته على مولاه وهو قوله : ﴿ أنت مولانا ﴾ ففيه الاعتراف بأنه سبحانه هو المتولى لكل نعمة ينالونها ، وهو المعطى لكل مكرمة يفوزون بها ، وبهذا الاعتراف يحق الوصول إلى الحق ، فإذا وصل إلى الحق أعرض بالكلية عن ما سواه وهو قوله : ﴿ فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ أعنا على قهر كل من خالفك وناوءك وعلى غلبة القوى الجسمانية الداعية إلى ما سواك [١] .

وبهذا نفهم شيئا من أسرار الترتيب فى هذه الكلمات القرآنية الشريفة وللشيخ المراغى ملحظ آخر فيقول :

وهذه الجمل الثلاث نتائج لما قبلها من الجمل التي افتتحت بلفظ (ربنا) فاعف عنا ، مقابل لقوله (لا تؤاخذنا) و (اغفر لنا) مقابل لقوله (ولا تحمل علينا إصرا) و (ارحمنا) مقابل قوله (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) لأن من آثار عدم المؤاخذ بالنسيان

---

[١] النيسابورى يتصرف ٣/١٢٥ ، ١٢٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والخطأ العفو ، ومن آثار عدم حمل الإصر عليهم المغفرة ، ومن آثار عدم تحميل ما لا يطاق الرحمة (١) .

وما علمنا الله هذه الدعاء لنردده بألسنتنا فحسب بل لنتوجه إليه بهذا الدعاء المبارك مخلصين صادقين فى اللجوء إليه ، بعد الأخذ فى الأسباب والعمل على تحصيل الوسائل التي هى طريق الاستجابة مع الالتزام الكامل بأحكام الشريعة الغراء .

إن فعلنا ذلك استجاب الله لنا ونصرنا على أعدائنا . أما حين أعرضنا عن هدايته ، وتنكبنا سنته فى خلقته ، فلم يستجب لنا دعاء ، لأننا ندعوه بألسنتنا فحسب ، وكنا بذلك نحن الجانين على أنفسنا ، مستحقين لهذا الخذلان .

وفقنا الله للعمل بسنته والسير وفق شريعته حتى يستجيب لنا دعاءنا ، ويعزنا كما عز سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - إنه نعم المولى ونعم النصير .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عفو الله عن رسوله ﷺ

يقول تعالى : ﴿ لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون * عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين * لا يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين * إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ﴾ [1] .

يقول ابن كثير فى تفسيره للآية الأولى من هذه الآيات الكريمة : يقول تعالى موبخا الذين تخلفوا عن النبى ﷺ فى غزوة تبوك وقعدوا بعد ما استأذنوه فى ذلك مظهرين أنهم ذووا أعذار ولم يكونوا كذلك فقال : ﴿ لو كان عرضا قريبا ﴾ قال ابن عباس : غنيمة قريبة ﴿ وسفرا قاصدا ﴾ أى قريبا أيضا ﴿ لاتبعوك ﴾ أى لكانوا جاءوا معك لذلك ﴿ ولكن بعدت عليهم الشقة ﴾ أى المسافة إلى الشام ﴿ وسحلفون بالله ﴾ أى لكم إذا رجعتم إليهم ﴿ لو استطعنا لخرجنا معكم ﴾ أى لو لم يكن لنا أعذار لخرجنا معكم ، قال الله تعالى : ﴿ يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون ﴾ ويقول فى تفسيره للآية ﴿ عفا الله عنك . . . ﴾ .

قال ابن أبى حاتم :

بالسند إلى عون قال : هل سمعتم أحسن من هذا ؟ نداء بالعفو

---

[1] سورة التوبة الآيات ٤٢-٤٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قبل المعاتبة ، فقال ﴿ عفا الله عنك لم أذنت لهم ﴾ وقال قتادة : عاتبه كما تسمعون ثم أنزل التي فى سورة النور ، فرخص له فى أن يأذن لهم إن شاء فقال : ﴿ فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم . . . ﴾ (١) .

وقال مجاهد :

نزلت هذه الآية فى أناس قالوا استأذنوا رسول الله ﷺ فإن اذن لكم فاقعدوا ، وإن لم يأذن لكم فاقعدوا ، ولهذا قال تعالى ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ أى فى إبداء الأعذار ﴿ وتعلم الكاذبين ﴾ يقول تعالى : هلا تركتهم لما استأذنوك فلم تأذن لأحد منهم فى القعود لتعلم الصادق منهم فى إظهار طاعتك من الكاذب فإنهم قد كانوا مصرين على القعود عن الغزو وإن لم تأذن لهم فيه ، ولهذا أخبر - تعالى - أنه لا يستأذنه فى القعود عن الغزو أحد يؤمن بالله ورسوله (٢) .

ويقول الطبرى فى تفسيره :

عفا الله عنك يا محمد ما كان منك فى إذنك لهؤلاء المنافقين الذين استأذنوك فى ترك الخروج معك وفى التخلف عنك من قبل أن تعلم صدقه من كذبه ﴿ لم أذنت لهم ﴾ لأى شئ أذنت لهم ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ﴾ يقول : ما كان ينبغى لك أن تأذن لهم فى التخلف عنك إذ قالوا لك : لو استطعنا لخرجنا معك

---

(١) سورة النور آية : ٦٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٦٠ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حتى تعرف من له العذر منهم فى تخلفه ومن لا عذر له ، فيكون إذنك لمن أذنت له منهم على علم منك بعذره ، وتعلم من الكاذب منهم المتخلف نفاقا وشكا فى دين الله [١] .

ويقول الإمام الألوسى عند تفسيره للآية الكريمة :

﴿ عفا الله عنك . . . ﴾ وهذا عتاب من اللطيف الخبير - سبحانه - لحبيبه ﷺ على ترك الأولى وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال المشار إليه بقوله سبحانه ﴿ حتى يتبين لك الذين صدقوا ﴾ [٢] .

هل العفو - هنا - يدل على سابقة المعصية ؟

تمسك الطاعنون فى عصمة الأنبياء - صلوات الله عليهم - بهذه الآية بالطعن على النبى ﷺ من وجهين :

الأول : قوله تعالى : ﴿ عفا الله عنك ﴾ والعفو يستدعى سابقة المعصية

الثانى : قوله تعالى : ﴿ لم أذنت لهم ﴾ فهو استفهام إنكارى يفيد أن الإذن كان معصية

يقول أ . د / محمد أبو النور الحديدى فى الجواب عن هذا ما ملخصه : أن إذن الرسول ﷺ فى التخلف لمن اعتذروا بعدم الاستطاعة ليس معصية لأنه لم يخالف نهيا تقدم له ، وإنما ترك فى هذا الأمر لاجتهاده ، والمنافقون قد بالغوا فى الخداع والتمويه

---

[١] تفسير الطبرى ٩٩/١٠ ، ١٠٠ .

[٢] تفسير الألوسى ١٠٧/١٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإخفاء حقيقتهم ، وكانوا يحلفون بالله على ما يقولون ، والرسول كبشر لا اطلاع له على بواطنهم فحكم بحسب ما ظهر له ، فلا معصية إذن منه عليه السلام وإنما مخالفة الأولى .

يقول الألوسى : إن المعنى : لم سارعت إلى الإذن لهم ولم تتوقف حتى ينجلى الأمر كما يقتضيه الحزم اللائق بشأنه الرفيع .

ولم أذنت لهم ؟ إنكار على الرسول الإذن فى التخلف الذى هو خلال الأولى (١).

وأجاب الفخر رحمه الله عن ذلك بقوله :

لا نسلم أن قوله ﴿ عفا الله عنك ﴾ يوجب الذنب ولم لا يجوز أن يقال إن ذلك يدل على مبالغة الله فى تعظيمه وتوقيره ، كما يقول الرجل لغيره - إذا كان معظما - عفا الله عنك ما صنعت فى أمرى (٢) .

(١) عصمة الأنبياء ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ بتصرف .
(٢) تفسير الفخر ٧٣/١٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعا : عفو الرسول ﷺ

لقد كان من فضل الله تعالى على هذه الأمة ، أن بعث فيها نبيه محمدا ﷺ لينهض بأمانة الدين وأمانة الدنيا ، ولقد كان خير ما أعانه على القيام بهذه المهمة الجليلة إعداد الله وتربيته إياه على نحو توفرت له فيه كل مقومات القيادة ومؤهلات الزعامة ، بحيث تجمع فيه ما تفرق فى غيره من البشر من أخلاق وشمائل ، وكان فى طليعته ما عرف به من أخلاق القيادة : عفوه ، وحلمه ، وصفحه ، وإغضاؤه عن هفوات الناس ، وضبطه لنفسه ، وقدرته الفائقة على كبت بواعث الغضب وعوامل الانتقام لتأخذ طريقها إلى القلوب ، فتلين بعد غلظة ، وإلى النفوس فتعود بعد نفور ، لتلتقى جميعا فى رحاب الوحى وصفائه وخيره .

ولا غرو فلقد طبع رسول الله ﷺ على حسن السجايا وعظيم الأخلاق وكريم الخلال التي تجنح دائما إلى الرفق وتميل إلى الرحمة ، وتألف اللين وتؤثر الرفق ، رغم ما قوبل به - صلوات الله وسلامه عليه من صروف الأذى وضروب الاضطهاد ، وصور التعنت ، ومظاهر الجفوة والخشونة ، ورغم ما دبر له من مؤامرات تبتغى إجهاض رسالته وفض الناس من حوله ، يقول تعالى ممتنا على نبيه ﷺ ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظا القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم**

وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ [١] .

يقول الطبرى فى تفسيره :

فبرحمة الله يا محمد ، وبرأفته بك ، وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم أى لاتباعك وأصحابك ، فسهلت لهم خلائقك ، وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه ، وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به ، وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ، ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحمهم ورحمك معهم فبرحمة الله لنت لهم .

وقوله ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ﴿ فاعف عنهم ﴾ فتجاوز يا محمد عن أتباعك وأصحابك المؤمنين بك وبما جئت به من عندى ما نالك من أذاهم ومكروه فى نفسك ﴿ واستغفر لهم ﴾ وادع لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم واستحقوا عليه عقوبة منه

وقوله ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله ﴾ فإنه يعنى : فإذا صح عزمك بتثبيتنا إياك وتسديدنا لك فيما نالك وحزنك من أمر دينك ودنياك ، فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به ، وافق ذلك اراء أصحابك وما اشاروا به عليك أو خالفها ، وتوكل فيما يتأتى من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك ، فثق به فى كل ذلك وارض بقضائه فى جميعه دن آراء سائر خلقه ومعونتهم فإن الله

---

[١] سورة آل عمرن آية : ١٥٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يحب المتوكلين : وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه [١] .

ويقول المراغى فى تفسير قوله سبحانه ﴿ فإذ عزمت فتوكل على الله ﴾ أى فإذا عقدت القلب على فعل شئ وإمضائه بعد المشاورة ومبادلة الرأى فيه ، فتوكل على الله ، وفوض الأمر إليه بعد أخذ الأهبة واستكمال العدة ، ومراعاة الأسباب التي جعلها الله وسيلة للوصول للمسببات،ولا تتكل على ما أوتيت من حول وقوة ، وعلى أحكام الرأى وأخذ العدة فذلك كله ليس بكاف فى النجاح ما لم تقرن به معونة الله وتوفيقه [٢] .

أقول :هذا أولى نظرا لسياق الآية الكريمة .

ويبين القرطبى - عليه رحمة الله - التدريج البليغ فى الآية الكريمة فيقول : أمر الله تعالى نبيه ﷺ بهذه الأوامر التي هى بتدريج بليغ ، وذلك أنه أمره أن يعفو عنهم ما له فى خاصته عليهم من تبعة ، فلما صاروا فى هذه الدرجة أمره أن يستغفر فيما لله عليهم من تبعة أيضا ، فإذا صاروا فى هذه الدرجة صاروا أهلا للاستشارة فى الأمور [٣] .

وأمر الله نبينا بالعفو ولين الجانب فى آية أخرى فقال سبحانه ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾

---

[١] تفسير الطبرى ٤/٩٩ ، ١٠١ بتصرف .

[٢] تفسير المراغى ٢/٩٥ بتصرف .

[٣] تفسير القرطبى ٢/١٥٩٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الشوكانى فى تفسيره :

لما عدد الله ما عدده من أحوال المشركين وتسفيه رأيهم وضلال سعيهم أمر رسوله ﷺ بأن يأخذ العفو من أخلاقهم وهذا نوع من التيسير الذى كان يأمر به رسول الله ﷺ ، والمراد بالعفو - هنا - ضد الجهد ، وقيل المراد خذ العفو من صدقاتهم ولا تشدد عليهم فيها ، وتأخذ ما يشق عليهم . ﴿ وأمر بالعرف ﴾ أى بالمعروف ، وهو كل خصلة حسنة ترتضيها العقول وتطمئن إليه النفوس .

﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ أى إذا أقمت الحجة فى أمرهم بالمعروف فلم يفعلوا ، فأعرض عنهم ، ولا تمارهم ولا تسافههم مكافأة لما يصدر منهم من المراء والسفاهة (١) .

قال القرطبى :

هذه الآية من ثلاث كلمات ،تضمنت قواعد الشريعة فى المأثورات والمنهيات : فقوله ﴿ خذ العفو ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين ،والرفق بالمؤمنين ،وغير ذلك من أخلاق المطيعين ودخل فى قوله﴿ وأمر بالعرف ﴾ صلة الأرحام وتقوى الله فى الحلال والحرام وغض الأبصار ،والاستعداد لدار القرار ،وفى قوله : ﴿ وأعرض عن الجاهلين ﴾ الحض على التخلق بالعلم والإعراض عن أهل الظلم ،والتنزه عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء ،وغير ذلك من الأخلاق الحميدة ،والأفعال الرشيدة

---

(١) تفسير الشوكانى ٢/٢٧٩ .

(٢) تفسير القرطبى ٤/٢٨٧١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وروى عن جعفر الصادق أنه قال :

ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها ، ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوى الإنسانية : عقلية ، وشهوية وغضبية ، فالعقلية : الحكمة ومنها الأمر بالمعروف ، والشهوية : العفة ومنها أخذ العفو ، والغضبية : الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين .

وعن معنى الآية الكريمة يقول ابن حجر رحمه الله :

وروى الطبرى مرسلا وابن مردويه موصولا من حديث جابر وغيره : لما نزلت ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف ﴾ سأل جبريل قال لا أعلم حتى أسأله ، ثم رجع فقال : إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك [١] .

ولقد كانت السماحة والعفو والصفح فى طليعة ما تحلى به صلوات الله وسلامه عليه ، فكان - عليه السلام - يغضب ولكنه لا يجور ويقدر ولكن لا ينتقم ، وكان يسبق حلمه جهله ، وعفوه غضبه ، ولا تزيده حدة الجاهل إلا حلما ، ودعا الناس إلى العفو والتسامح - بأقواله وأفعاله ، وقد تسنم الذروة العليا من هذا الخلق النبيل وحفلت كتب السنة الشريفة بأقوال متكاثرة ، وتوجيهات وفيرة لسيد العافين للأمة فى هذا الشأن ، فلقد قال عبد الله بن عمر جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ فصمت عنه النبى ﷺ ، ثم قال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم ؟ قال كل

---

[١] فتح البارى ٨/٢٤٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يوم سبعين مرة [١] .

وبين للأمة أن الشديد من الناس هو من يملك نفسه عند الغضب فيكظم غيظه ، ويعفو عن أهل الجهل والحماقة .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذى يملك نفسه عن الغضب [٢] .

قال ابن بطال : إن مجاهدة النفس أشد من مجاهدة العدو لأنه ﷺ جعل الذى يملك نفسه عند الغضب أعظم الناس قوة [٣] .

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أيضا أن رجلا قال للنبى ﷺ أوصنى قال لا تغضب فردد مرارا قال لا تغضب [٤] .

قال الخطابى : معنى قوله لا تغضب : اجتنب أسباب الغضب ولا تتعرض لما يجلبه ، وأما نفس الغضب فلا يتأتى النهى عنه لأنه أمر طبيعى لا يزول من الجبلة [٥] .

وقال ابن التين : جمع ﷺ فى قوله لا تغضب خير الدنيا والآخرة لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفق وربما آل إلى أن يؤذى المغضوب عليه فينتقص ذلك من الدين .

---

(١) رواه الترمذى وقال حسن غريب ك البر والصلة ح رقم ١٩٥٠ ، تحفة الأحوذى ٥٦/٦ .

(٢) رواه البخارى ك الأدب ، باب الحذر من الغضب ، الفتح ٤٢٦/١٠

(٣) المرجع السابق ٤٢٧/١٠ .

(٤) أخرجه البخارى ك الأدب ، المرجع السابق .

(٥) المرجع السابق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال ابن حجر : ويعين على ترك الغضب استحضار ما جاء فى كظم الغيظ من الفضل وما جاء فى عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد ، وأن يستعيذ من الشيطان [١] .

وقد كان صلوات الله عليه آية فى العفو ، وفريدا فى الصفح ، وعظيما فى كظم الغيظ ولين الجانب ، فقد سئلت سيدتنا أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ فقالت :

لم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئ وكان يعفو ويصفح [٢] .

(لم يكن فاحشا) أى ذا فحش فى اقواله وأفعاله (ولا متفحشا) أى متكلفا فيه متعمدا ، قال القاضى : نفت عنه تولى الفحش والتفوه به طبعا وتكلفا (ولا صخابا) أى صياحا (ولا يجزى بالسيئة السيئة) بل بالحسنة (ولكن يعفو) أى فى الباطن (ويصفح) أى يعرض فى الظاهر عن صاحب السيئة [٣] .

ومن آيات عفوه ، وبراهين تسامحه وصفحه ما قاله سيدنا عبد الله بن مسعود - كما رواه البخارى - لما قسم النبى ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار ما أراد بها وجه الله فأتيت النبى ﷺ فأخبرته فتغير وجهه ثم قال : رحمة الله على موسى لقد أوذى بأكثر من هذا

---

[١] المرجع السابق ٤٢٨/١٠ .

[٢] رواه الترمذى وقال حسن صحيح ك البر والصلة ح رقم ٢٠١٦ ، تحفة الأحوذى ١٢٤/٦ .

[٣] المرجع السابق بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فصبر [١] .

وفى فتح مكة ضرب خير الناس مثلا نادرا فى العفو ، فقد قال يومها لقريش : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء

يقول الدكتور / أبو شهبه معلقا على هذا :

ألا ما أجمل العفو عند المقدرة ، وما أعظم النفوس التي تسمو على الأحقاد وعلى الانتقام بل تسمو على أن تقابل السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتصفح ، والعفو عن من ؟ عن قوم طالما عذبوه وأصحابه وهموا بقتله مرارا وأخرجوه وأتباعه من ديارهم وأهليهم وأحوالهم ولم ينفكوا عن محاربته والكيد له بعد الهجرة .

إن غاية ما يرجى من نفس بشرية كانت مظلومة فانتصرت أن تقتص من غير إسراف فى إراقة الدماء ولكنه النبى !

والنبوة من خصائصها كبح النفس ومغالبة الهوى والعفو والتسامح . أليس من صفاته التي بشرت بها التوراة أنه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يقابل السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ؟ .

لقد ضرب النبى صلوات الله وسلامه عليه بعفوه عن أهل مكة للدنيا كلها وللأجيال المتعاقبة مثلا فى البر والرحمة والعدل والوفاء وسمو النفس لم تعرفه الدنيا ولن تعرفه فى تاريخها الطويل [٢] .

---

[١] رواه البخارى ك المغازى ، باب غزوة الطائف ، الفتح ٤٤/٨ .

[٢] السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة ٣٦٧/٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد كان عفوه - صلوات الله عليه - فى حدود ما حده الله ، فقد يعفو عن من ظلمه أما إذا انتهكت محارم الله فكان لا يقوم لغضبه شئ ، فللعفو عنده موضعه وللعقوبة موضعها

وما أروع ما قاله صاحب الظلال تعليقا على الآية التي معنا ومما قاله رحمه الله :

خذ العفو الميسر الممكن من أخلاق الناس فى المعاشرة والصحبة ولا تطلب إليهم الكمال ولا تكلفهم الشاق من الأخلاق واعف عن أخطائهم وضعفهم وتعصبهم .. كل أولئك فى المعاملات الشخصية لا فى العقيدة الدينية ولا فى الواجبات الشرعية فليس فى عقيدة الإسلام ولا شريعة الله يكون التغاضى والتسامح ولكن فى الأخذ والعطاء والصحبة والجوار وبذلك تمضى الحياة سهلة لينة ، فالإغضاء عن الضعف البشرى والعطف عليه والسماحة معه واجب الكبار الأقوياء تجاه الصغار الضعفاء ، ورسول الله ﷺ راع وهاد ومعلم ومرب فهو أولى الناس بالسماحة واليسر والإغضاء ، وكذلك كان رسول الله ﷺ لم يغضب لنفسه قط ، فإذا كان فى دين الله لم يقم لغضبه شئ !

وكل أصحاب الدعوة مأمورون بما أمر به رسول الله ﷺ فالتعامل مع النفوس البشرية لهدايتها يقتضى سعة صدر وسماحة طبع ويسرا وتيسيرا فى غير تهاون ولا تفريط فى دين الله [١] .

---

[١] الظلال : ١٤١٩/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه ، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم بها لله (١) .

قال النووى :

قولها:إلا أن تنتهك حرمة الله"استثناء منقطع معناه: لكن إذا انتهكت حرمة الله انتصر لله تعالى ، وانتقم ممن ارتكب ذلك ، ثم قال :

وفى الحديث الحث على العفو والحلم احتمال الأذى والانتصار لدين الله تعالى ممن فعل محرما أو نحوه وفيه أنه يستحب للأئمة والقضاة وسائر ولاة الأمور التخلق بهذا الخلق الكريم فلا ينتقم لنفسه ، ولا يهمل حق الله تعالى (٢) .

وعن عائشة - رضى الله عنها - أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا من يكلم رسول الله ﷺ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله ﷺ فكلم رسول الله ﷺ فقال أتشفع فى حد من حدود الله ثم قام فخطب قال يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها (٣) .

---

(١) أخرجه البخارى ك الأدب باب قول النبى يسروا ولا تعسروا ، الفتح ٤٣٢/١٠ .

(٢) المرجع السابق ٨٤/١٥ .

(٣) أخرجه البخارى ك الحدود ، باب كراهية الشفاعة فى الحد إذا رفع إلى السلطان ، الفتح ٧٢/١٢ ـ ٧٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال النووى - رحمه الله - عن الشفاعة فى الحدود :

أن ذلك هو سبب هلاك بنى إسرائيل ، وقد أجمع العلماء على تحريم الشفاعة فى الحد بعد بلوغه إلى الإمام وعلى أنه يحرم التشفع فيه أما قبل بلوغه إلى الإمام فقد أجاز الشفاعة فيه أكثر العلماء ، إذ لم يكن المشفوع فيه صاحب شر واذى للناس فإن كان لم يشفع فيه ، وأما المعاصى التي لا حد فيها ، وواجبها التعزيز ، فتجوز الشفاعة والتشفيع فيها سواء بلغت الإمام أم لا لأنها أهون ، ثم الشفاعة فيها مستحبة إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب أذى ونحوه [١] .

---

[١] المرجع السابق ١١/١٨٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خامسا : منهج القرآن فى الدعوة إلى العفو

مما لا ريب فيه أن العفو ليس أصلا فى المعاملة بين الناس لأنه قدر زائد عن العدالة ، لهذا لم يفرضه الله سبحانه على عباده ، بل ندب إليه ، ورغب فيه بوسائل شتى ، وآية ذلك أنه - تعالى - شرع العقوبة ، ليشعر المعتدى عليه أن حقوقه مصونة ، وفضلا عن ذكر العقوبة وحدها فى آى التنزيل الحكيم ، كرر القرآن مشروعيتها مع كثير من الآيات التي تحث على العفو وتدعو إليه ، لكى يشعر العباد أن مصالحهم مرعية ، وليكون عفوهم - آنذاك - عن سماحة خالصة ، لإطاعة مزيفة .

وسنكتفى - هنا - بذكر بعض الآيات التي ورد فيها ذكر العقوبة مع العفو تارة قبله ، وتارة بعده ، وتارة قبله وبعده جميعا:

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾

ب - وقال سبحانه : ﴿ **اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم** ﴾ (١) .

جـ - وقال عز وجل : ﴿ **فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة المائدة آية : ٩٨ .

(٢) سورة الأنفال آية : ١٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

د - وقال سبحانه : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [١] .

هـ - وقال عز شأنه : ﴿ والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم * ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [٢]

وغير ذلك كثير فى الآيات التي تصرح بأن كفة العفو أرجح .

يقول الفخر الرازى فى تفسيره لقوله جل شأنه : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به . . . ﴾

يعنى : إن رغبتم فى استيفاء القصاص فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه ، فإن استيفاء الزيادة ظلم ، والظلم ممنوع فى عدل الله ورحمته ،ثم يقول رحمه الله : فيه دليل على أن الأولى له أن لا يفعل ، كما أنك إذا قلت للمريض : إذا كنت تأكل الفاكهة فكل التفاح ، كان معناه : الأولى بك أن لا تأكل ، فذكر تعالى بطريقة الرمز والتعريض على أن الأولى تركه ، وفى قوله : ﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ تصريح بأن الأولى ترك ذلك الانتقام [٣] .

---

[١] سورة النحل آية : ١٢٦ .

[٢] سورة الشورى الآيات ٣٩-٤٣ .

[٣] تفسير الفخر الرازى ١٤٢/٢٠ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وما لاشك فيه أن هذه الطريقة الوسط بين العقوبة والعفو أدعى إلى السلم والأمان ، فلو شرع العفو وحده لسادت الفوضى ، واستشرى المجرمون ، وكانت النفوس أميل إلى الزهد فيه ، والتبرم به ، فليس فى طبيعة الإنسان أن يتخلى عن جميع حقوقه ، وفى كل الاحوال ، فسبحان من هذا توجيهه وإرشاده !! .

هذا . . ومن وسائل دعوة القرآن الناس إلى العفو :

١- وضع الله أمام عباده مثلا عليا ليهتدوا بها من غير إلزام :

فقد مر بنا ، أن الله سبحانه نسب صفة العفو إلى نفسه تعالى أكثر من عشر مرات فى القرآن الكريم ، ووصف نفسه بالعفو فى آيات كثيرة ، وقد تحدثنا عن ذلك فيما سبق ، وما دام العفو صفة من صفاته تعالى ، فإنه مما يزكى الإنسان ويسمو بقدره عند الله سبحانه وعند الناس أن يتخلق بهذا الخلق الكريم النبيل [١] .

ويكفى الإنسان شرفا وسموا أن يتخلق بأخلاق ربه الكريم

ولقد كان العفو - كذلك صفة الرسول الكريم تنفيذا لأمر الله له - فى مواطن كثيرة من كتابه الكريم - وقد مر بنا بيان ذلك من قبل ، والرسولِ الأعظم هو المثل الأعلى لكل مسلم ، وأخلاقه كذلك هى القدوة السامية التي لا تشبهها قدوة فى مكارم الأخلاق وفضائل الشيم ، والقرآن العزيز يقول : ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ [٢] .

---

[١] موسوعة أخلاق القرآن ، د / أحمد الشرباصى ٣٥/١ بتصرف .

[٢] سورة الأحزاب آية : ٢١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله :

هذه الآية الكريمة أصل كبير فى التأسى برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله وأحواله [١] .

ووصف به سبحانه المقربين من عباده ، ونوه القرآن بمكانة هؤلاء الأخيار ، وأشار إلى فوزهم العظيم بالجنة ونجاتهم من النار يوم القيامة ، فقال سبحانه :

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [٢]

وفى بيان القرآن العزيز لأوصاف المخبتين - وهم أهل الخشوع والتواضع والسكينة - يقول الحق سبحانه ﴿ وبشر المخبتين * الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [٣] .

---

[١] تفسير القرآن العظيم ٣/٤٧٤ .

[٢] سورة آل عمران الآيات : ١٣٣-١٣٦ .

[٣] سورة الحج من آية ٣٤ ، وآية ٣٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفى بيان ثوابهم الكريم ، واستقبال الملائكة لهم بالحفاوة والسلام يقول ربنا الكريم :

﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار * جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب * سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ﴾ (١) .

قال الإمام الفخر الرازى رحمه الله :

قوله : ﴿ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴾ فيه وجهان :

الأول : أنهم إذا أتوا بمعصية درءوها ودفعها بالتوبة

الثانى:أن المراد أنهم لا يقابلون الشر بالشر ،بل يقابلون الشر بالخير وعن الحسن:هم الذين إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا (٢) . وأثنى عليهم ربنا ثناء عاطرا فى قوله سبحانه :

﴿ ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ﴾

قال القرطبى رحمه الله :

﴿ وما يلقاها ﴾ يعنى هذه الفعلة الكريمة ، والخصلة الشريفة ، ﴿ إلا الذين صبروا ﴾ بكظم الغيظ واحتمال الأذى . ﴿ وما يلقاها إلا

---

(١) سورة الرعد الآيات : ٢٢-٢٤ .

(٢) تفسير الفخر ٤٣/١٩ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذو حظ عظيم ﴾ أى نصيب وافر من الخير . قاله ابن عباس ، وقال قتادة ومجاهد : الحظ العظيم : الجنة ، قال الحسن : والله ما عظم حظ قط دون الجنة ، وقيل : الكناية فى ﴿ يلقاها ﴾ عن الجنة أى : ما يلقاها إلا الصابرون ، والمعنى متقارب [١] .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة .

فهذه مثل عليا ثلاثة تنير السبيل لمن شاء أن يتشبه بأخلاق الله تعالى ، فإن أعجزه ذلك تمثل بأخلاق الرسول ﷺ فإن عز عليه هذا جاهد أن يكون مع طبقة خاصة من الناس وهم مع ذلك بشر مثلنا ، لا نشعر بيننا وبينهم بتلك الفوارق التي نشعر بها بيننا وبين الذات العليا ، أو بيننا وبين مقام الرسول ﷺ ، فلحكمة بليغة وضعت أمامنا هذه المثل العليا ، ولحمة بليغة - أيضا - كانت على هذا التدرج [٢] .

٢- أن الله عز وجل - كما قلنا سابقا - لم يأمر بالعفو فى صراحة - إلا قليلا - ولكن ندب إليه ندبا ، تحاشيا لإثارة روح العناد الخبيث فى نفوس البشر ، فالخبير البصير يعلم أن فى الطبيعة البشرية نفورا من الأمر أولا وفى التجاوز عن حقها ثانيا ، وحتى عندما رغب عباده فى العفو جاء بأروع ما تنطق به الأساليب المرغبة .

---

[١] تفسير القرطبى ٦٠٢٨/٩ ، ٦٠٢٩ .

[٢] ينظر المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية ٤٨١/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أروع ما جاء فى القرآن الكريم فى هـذا المجـال قولـه سبحانه : ﴿ **وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير** ﴾ (١) .

ومعنى كون العفو أقرب للتقوى : أن العفو أقرب إلـى صفة التقوى من التمسك بالحق ، لأن التمسك بالحق لا ينافى التقوى لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته ، والعفـو يـؤذن بسـماحة صاحبه ورحمته والقلب المطبوع على السماحة والرحمة ، أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد .

وقوله : ﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ تذييل ثان ، معطوف علـى التذييل الذى قبله ، لزيادة الترغيب فى العفو بما فيه مـن التفضـل الدنيوى ، وفى الطباع السليمة حب الفضل .

وقوله : ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾ تعليل للترغيب فى عـدم إهمال الفضل ، وتعريض بأن فى العفو مرضاة الله تعـالى ، فـهو يرى منا ذلك فيجازى عليه (٢) .

والآيات القليلة التي جاء فيها الأمر بالعفو صريحا ، لـم تكـن خطابا فى أغلبها لجمهور الناس الذين يغلب أن يثور فـى نفوسـهم روح المعارضة والعناد ، بل وجه الأمر فيها إلـى مـن طـهرت نفوسهم من خبث التعصب للنفس والعناد ، كالرسول الكريـم ﷺ أو لصاحبه الوفى أبى بكر الصديق رضى الله عنه أو لفئة معينة - وإن

---

(١) سورة البقرة من آية : ٢٣٧ .

(٢) التحرير والتنوير ٢/٤٦٤ ، ٤٦٥ ، بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كانت غير محدودة - من المقربين من عباد الله تعالى ، وإنما كانت غير محدودة إطماعا لكل إنسان أن يكون من بينهم ، وقد مر بنا من قبل نماذج من هذه الآيات الكريمة .

٣- وفى هذه الآيات القليلة التي جاء فيها الأمر بالعفو - فى التنزيل المجيد - نجد صيغة الأمر يسبقها أو يلحقها فى كثير من الآيات عبارات ملطفة للأمر ، مخففة من وقعه على النفس ، محرضة على طاعته معوضة عما يتجاوز عنه العافى من حقه ، وهذه العبارات الملطفة التي تصحب الأمر ، تتناسب كثرة وقلة مع حال المخاطب قربا من الله سبحانه وتعالى .

ففى آية خاصة المؤمنين نجد أوفى قسط تحتمله العبارة من تخفيف وقع الأمر وذلك فى قوله سبحانه : ﴿ **ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين * ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** ﴾ [١]

بالتأمل فى هذه الآيات البينات نلاحظ أن الله وضع المخاطبين فى أحسن درجة لعملهم الصالح فى عدم التسوية بين الحسنة والسيئة ودفعهم بالتي هى أحسن ، واستبدالهم بالعدو وليا حميما ، وتخصيصهم بمرتبة الصابرين ، ذوى الحظ العظيم من

---

[١] سورة فصلت الآيات : ٣٣-٣٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كمال النفس وطهارتها فمذا تبقى بعد هذا من شدة الأمر بالتخلي عن حق في نظير هذه النعم الجليلة ؟

على أن الآية لا تأمر بالعفو - حقيقة - في كل الأحوال ، لأنها صريحة في أن يدفع المرء السيئة بالتي هي أحسن ، والذي هو أحسن في حالة من الحالات قد لا يكون هو الأحسن في حالة أخرى ، فإن الشر قد يكون أحسن في دفعه بالعفو تارة وبالعقوبة تارة أخرى .

وفي آية الصديق رضي الله عنه ﴿ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾

نجد قدرا أقل من هذا لتلطيف الأمر بالعفو ونفس الصديق كانت ولا شك أقرب إلى قبوله .

ففي الآية الكريمة عبارتان ملطفتان :

الأولى : ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟

والثانية : والله غفور رحيم

يقول أبو السعود : ﴿ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ أي بمقابلة عفوكم وصفحكم وإحسانكم إلى من أساء إليكم ﴿ والله غفو رحيم ﴾ مبالغ في المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة وكثرة ذنوب الداعية إليها ، وفيه ترغيب عظيم في العفو ، ووعد كريم بمقابلته ، كأنه قيل : ألا تحبون أن يغفر الله لكم فهذه من موجباته [1]

---

(١) إرشاد العقل السليم ١٦٥/٦ .

أما الرسول الكريم ﷺ فنفسه أطهر النفوس البشرية ، وأبعدها بل أبرؤها من العناد ، فحين يوجه إليه الأمر بالعفو لا يشتمل إلا على اقل حد من عبارات التلطف ، بل قد أمر بالعفو والصفح في آيات كثيرة جاء الأمر في كثير منها مجردا ، مثل قوله سبحانه :

﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾

وقوله سبحانه : ﴿ ادفع بالتي هي أحسن السيئة نحن أعلم بنا يصفون ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ (٢) .

ومن الآيات التي جاء فيها الأمر لرسول الله ﷺ بالعفو مشفوعا بعبارات قليلة من عبارات التلطيف والتخفيف قوله تعالى :

﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إنه يحب المتوكلين ﴾

يقول صاحب تفسير المنار :

" ولو كنت فظا غليظا لانفضوا من حولك " لأن الفظاظة ، وهي : الشراسة والخشونة في المعاشرة وهي القسوة والغلظة ، وهما من الأخلاق المنفرة للناس ، لا يصبرون على معاشرة صاحبهما - وإن كثرت فضائله ورجيت فضائله - بل يتقرفون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه ، لا يبالون ما يفوتهم من منافع

---

(١) سورة المؤمنون آية : ٩٦ .

(٢) سورة الزخرف آية : ٨٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإقبال عليه والتحلق حواليه ، وإذن لفاتتهم دعوتك ولم ت
قلوبهم .

« فاعف عنهم واستغفر لهم » فلا تؤاخذهم على ما فرطوا اس
الله تعالى أن يغفر لهم ، ولا يؤاخذهم أيضا ، فبذلك تكون محافظ
على تلك الرحمة التي خصك الله بها ، ومداوما لتلك السيرة الحس
التي هداك اله إليها [١] .

وقوله تعالى : « **واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون * إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** » [٢] .

أى : واصبر على ما أصابك من أعدائك من فنون الآلام والأذية ، وإعراضهم بعد الدعوة عن الحق ، « وما صبرك إلا بالله » إلا بتوفيقه ومعونته ، فالتسلية من حيث تيسير الصبر وتسهيله .

« ولا تحزن عليهم » أى على الكافرين وكفرهم بك أو على المؤمنين وما فعل بهم من المثلة يوم أحد « ولا تك فى ضيق » أى فى ضيق صدر وحرج « مما يمكرون » من مكرهم بك فيما يستقبل « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » معيته بالرحمة والفضل والرتبة وقوله « الذين اتقوا » إشارة إلى تعظيم لأمر الله تعالى وقوله « والذين هم محسنون » إشارة إلى الشفقة على خلق الله

---

(١) تفسير المنار ١٦٣/٤ .

(٢) سورة النحل الآيتان : ١٢٧ ، ١٢٨ .

وذلك يدل على أن كمال السعادة للإنسان فى هذين الأمرين : أعنى : التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة على خلق الله [١] .

والآية الوحيدة التي جاء فيها الأمر بالعفو - بلفظه الصريح مع الأمر بالصفح - لجمهور الأمة - أعنى قوله سبحانه ﴿ فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ﴾

ولم يتعرض فيها لذكر الإساءة أو العقوبة ، والذى أراه أنها جاءت فى القرآن الكريم هكذا فريدة بهذا الأمر الضريح لسببين :

الأول : حتى لا تكون جميع آيات القرآن خالية من صيغة الأمر بالعفو موجها إلى جمهور الأمة .

الثانى : إذا قرنت هذه الآية بغيرها من آيات العفو فى القرآن ، استنبط الناس المرمى السامى الذى رمى إليه الشارع الحكيم من أن العفو - وإن لم يكن مأمورا به - فهو مرغوب فيه ، بطريقة تقارب الأمر الصريح .

وهذه الآية - مكية - نزلت حين كان المسلمون فى مرحلة ضعف وتحمل للأذى ، فكيف جاء الأمر بالعفو مع عدم المقدرة ؟

هذا إشارة إلى أن المؤمنين - على قلتهم - هم أصحاب القدرة والشوكة بما معهم من الحق ، فكأن الله يقول لهم : عاملوهم معاملة القوى العادل للقوى الجاهل ، وفى هذا بشارة لأهل الإيمان أنهم هم أهل القوة والغلبة فمهما يتصارع الحق والباطل فإن الحق هو الذى

---

[١] ينظر تفسير الألوسى ٢٥٩/١٤ ، تفسير الفخر : ١٣٤/٢٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يصرع الباطل [١] .

٤- والقرآن حين يعرض للعفو إنما يذكره فى عبارات مطنبة مؤكدة وهذا التوكيد ليس مقصورا على التوكيد النحوى ، بل يشمل كذلك الأساليب البلاغية للتوكيد من ذلك :

إتيانه بالمترادف ، أو المفعول المطلق ، أو لام التوكيد أو النعت ، أو التذييل .. . إلخ .

وفى القرآن الكريم نماذج كثيرة لذلك منها :

قوله سبحانه : ﴿ فتاب عليكم وعفا عنكم ﴾

وقوله : ﴿ وإن تعفوا أقرب للتقوى ﴾

وقوله تعالى : ﴿ فاعف عنهم واصفح ﴾

وقوله سبحانه : ﴿ فاصفح الصفح الجميل ﴾

وقوله عز وجل : ﴿ وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ﴾

والرغبة فى التوكيد - هنا - زيادة التنبيه على الصفح ، وتحسينه فى العقول .

٥- ومن وسائل القرآن الكريم فى الترغيب فى العفو أنه يحذر - مع الدعوة إلى العفو - من العدوان والبغى ، ويلح على الحيطة والتقية كأنه يقول : إن فى استيفاء العقوبة عدوانا ، أو إشرافا على العدوان وخير للإنسان أن يتجاوز عن بعض حقه من أن يعتدى على حق غيره ، فمن العسير أن يأخذ الظالم حقه فقط .

---

[١] ينظر تفسير المنار ٣٤٧/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الآيات التي توضح لنا هذا :

قوله سبحانه : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [١] .

وقوله ﴿ واتقوا الله ﴾ أمر بالاتقاء فى الاعتداء ، أى بألا يتجاوز الحد لأن شأن المنتقم أن يكون عن غضب ، فهو مظنة الإفراط [٢]

وقوله تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾

نعم : إن الأصل فى الجزاء مقابلة السيئة بالسيئة حتى لا يستفحل الشر ويطغى ، لكن العفو ابتغاء وجه الله ، وطمعا فى أجره ومثوبته ، أمر مستحب شرعا مرغوب فيه دينا ، وقوله تعالى : ﴿ إنه لا يحب الظالمين ﴾ توكيد للقاعدة الأولى ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ من ناحية ، وإيحاء بالوقوف عند رد المساءة ، أو العفو عنها ، وعدم تجاوز الحد فى الاعتداء من ناحية أخرى [٣] .

٦- ويأتى الحديث عن العفو فى التنزيل الحكيم مصحوبا بصفات أخرى يدعو إليها الدين جميعا ، وأهم ما يظهر لنا أن القرآن الكريم قد ذكر العفو مع طائفة من السماحة فى التعامل بشتى معانيها - فهى - بذلك تشمل العفو ، فإذا ما قبلنا السماحة فى أصلها ، أو فى فرع من فروعها - كان من المرجح أن لا نتردد فى قبول العفو ، لهذا

---

[١] سورة البقرة من آية : ١٩٤ .

[٢] التحرير والتنوير ٢/٢١١ .

[٣] الظلال ٥/٣١٦٧ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نرى القرآن يجمع بين العفو والتفضل ، وبين العفو والإنفاق فى السراء والضراء وبين العفو والتشاور فى الأمور دون الاستبداد بالرأى . . . إلخ .

وسأكتفى هنا بإيراد بعض النماذج - وذلك لذكر كثير من النماذج المناظرة فيما سبق :

قال تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾

والذين يجودون بالمال فى السراء والضراء محسنون ، والذين يجودون بالعفو والسماحة بعد الغيظ والكظم محسنون [١] .

وقال سبحانه : ﴿ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار ﴾

وقال تعالى : ﴿ والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [٢] .

٧- ومن أروع ما استعمله القرآن الكريم للترغيب فى العفو والتزهيد فى العقوبة أسلوب المشاكلة [٣] ، وهو ضرب آخر من

---

(١) الظلال ١/٤٧٥ .

(٢) سورة الشورى الآيتان : ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) وهى ذكر الشئ بلفظ غيره لوقوعه فى صحبته .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التحذير من الأخذ بالعقوبة ، ذلك لأن الأمر الذى تحدثه المشاكلة فى نفس السامع هو إيقاظها إلى التشاكل والتشابه بين الأمرين ، نتيجة للإيحاء الذهنى الذى يحدثه التعبير عنهما بلفظ واحد - مع أنهما فى الحقيقة مختلفان ، ليتأثر المخاطب - بذلك التشاكل - فى اتجاهه نحوهما ، فمرة يسوى القرآن بين العقوبة والاعتداء بتسميتهما جميعا عقوبة مع أن الاعتداء ليس - فى الحقيقة - عقوبة ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ ، ﴿ ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور ﴾

وتارة يسوى بينهما بتسميتهما جميعا عدوانا ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ أو بتسميتهما جميعا إساءة ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾

قال الألوسى :

﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾ بيان لما جعل للمنتصر ، وتسميته الفعلة الثانية - وهى الجزاء - سيئة قيل للمشاكلة ، وقال جار الله : تسمية كلتا الفعلتين سيئة لأنها تسوء من تنزل به ، وفيه رعاية لحقيقة اللفظ ، وإشارة إلى أن الانتصار - مع كونه محمودا - إنما يحمد بشرط رعاية المماثلة - وهى عسرة - ففى مساقها حث على العفو من طريق الاحتياط [١] .

٨- بيان القرآن للثمار الطيبة-فى الدنيا والآخرة - بهذا الخلق الرفيع والسلوك النبيل ، وهذا ما سنعرض له فى السطور التالية بإذن الله .

---

[١] تفسير اللألوسى ٢٥/٤٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسا : ثمار العفو ونتائجه الطيبة فى الدنيا والآخرة

لا شئ كالعفو ، يقرب المسافات ويئد الخصومات ويسل السخائم ، ويكون عنوانا على سماحة النفس وسعة الصدر ، وبعد النظر ، وأعظم ما يبدو من أثر العفو ونتائجه الطيبة فى الدنيا هو ما يمس شئون الأسر والبيوت من زواج وطلاق ، وما يمس حياة الناس والأمة من قصاص ودماء ، فمن عفا فى مجال الأسرة وما يتعلق بأفرادها من حقوق كان أقرب إلى تقوى الله وخشيته ، وكان أعرف بما ينبغى أن يشيع بين الأسر من فضل وسمو ونبل ، ومن عفا فى مجال القصاص والدماء كان أقرب إلى رحمة الله له ، وتخفيفه عنه فى الدنيا والآخرة فالجزاء من جنس العمل .

١- فالعفو قرين التقوى ودليل على خشية الله والخوف منه سبحانه ، قال تعالى : ﴿ **وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير** ﴾

يقول القاسمى :

﴿ وإن طلقتموهن ﴾ أى الزوجات ، ﴿ من قبل أن تمسوهن ﴾ أى تجامعوهن ، قال أبو مسلم [١] : وإنما كنى تعالى بقوله ﴿ تمسوهن ﴾ عن المجامعة تأديبا للعباد فى اختيار أحسن الألفاظ فيما

---

[١] هو محمد بن بحر المعتزلى المفسر له : جامع التأويل ، والناسخ والمنسوخ وكتاب فى النحو ، ولد سنة ٢٥٤ هـ ، وتوفى سنة ٣٢٢ هـ ، بغية الوعاة للسيوطى ٢٣

يتخاطبون به ﴿ وقد فرضتم ﴾ أى سميتم ، ﴿ لهن فريضة ﴾ أى مهرا مقدرا ، ﴿ فنصف ما فرضتم ﴾ أى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر ، أو فالواجب عليكم ذلك ﴿ إلا أن يعفون ﴾ أى المطلقات عن أزواجهن ولا يطالبنهم بنصف المهر ، وتقول المرأة : ما رآنى ولا خدمته ولا استمتع بى فكيف آخذ منه شيئا ؟ ﴿ أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ﴾ وهو الزوج فيسوق إليها المهر كاملا أو الولى يعنى : إذا كانت صغيرة أو غير جائزة التصرف ، فيترك نصيبها للزوج ، ﴿ وأن تعفوا أقرب للتقوى ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء جميعا .

وروى ابن جرير عن ابن عباس : أقربهما للتقوى الذى يعفو ، وذلك لأن من سمح بترك حقه كان محسنا ، وذلك عنوان التقوى .

﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ أى التفضل بالإحسان ، لما فيه من الألفة وطيب الخاطر ، فهو حث على العفو ،فمن عفا منهما فله الفضل على الآخر ﴿ إن الله بما تعملون بصير ﴾ أى فلا يضيع تفضلكم وإحسانكم [١] .

قال الفخر :

العفو قرين التقوى ، وكل من كان أقوى فى العفو كان أقوى فى التقوى ، ومن كان كذلك كان أفضل لقوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [٢] .

---

[١] تفسير القاسمى ٥٧٦/١ ، ٦٧٦ بتصرف .

[٢] سورة الحجرات من آية : ١٣ ، تفسير الفخر ١٨٩/٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- أما أن العفو - فى مجال القصاص والدماء - تخفيف ورحمة، فذلك ما يتحدث عنه قول الحق سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم** ﴾

﴿ فمن عفى له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ﴾ العفو - هنا - بمعنى الإسقاط ، والتنازل عن حق المطالبة بالقصاص فيكون الأخ - هنا - ولى الدم ، أو أحد أوليائه من ورثة القتيل - ويكون المراد بالشئ - هنا - الدم وحكمة التعبير بالتنكير تحمل تقرير الحكم الشرعى هو إسقاط القود عن القاتل ، إذا صدر العفو من أحد الورثة عن حق القصاص ، ولو كان زوج القتيل ولو كان حظ المتنازل قليلا جدا فى الميراث ، إذ أن عفو أحد الورثة يوجب له الدية ، وإذا تقرر حق الدية لأحد أولياء الدم سقط القود عن القاتل ، وأجبر الباقون على قبول الدية لأن القود لا يتبعض .

﴿ فاتباع بمعروف ﴾ فى تقدير حجم الدية حسبما عرف من الشرع بغير وكس ولا شطط .

﴿ وأداء إليه بإحسان ﴾ لما ألزم أهل الدم بالتسليم بالمعروف لصالح قرار العفو ، ألزم القاتل بالأداء - أداء الدية - المقرون بالإحسان أى بمشاعر الامتنان الجميل عفوه ، ونبيل صنعه ، فى ذلك تقرير من الشرع بأن العفو إحسان بمقتضى الإحسان ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ؟

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ ذلك التشريع بالعفو ، وقبول الدية إنما هو تخفيف فى العقوبة ورحمة بالصغار من ورثة القاتل والمقتول ، وفتح لصنائع المعروف [١] .

قال الفخر الرازى رحمه الله :

أما قوله تعالى : ﴿ ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ﴾ أى الحكم بشرع القصاص والدية تخفيف فى حكمه ، لأن العفو وأخذ الدية محرمان على أهل التوراة ، والقصاص مكتوب عليهم البتة ، والقصاص والدية محرمان على أهل الإنجيل والعفو مكتوب عليهم وهذه الأمة مخيرة بين القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا ، وهذا قول ابن عباس [٢] .

وأى رحمة بالناس أفضل من العفو ، والامتناع عن سفك الدماء ؟

وفى ذكر الأخوة - فى الآية - تعطف داع إلى العفو ، وإيذان بأن القتل لا يقطع أخوة الإيمان [٣] .

٣- والعفو الكريم ، مع ما له من تأثير كبير فى حياة الناس من وأد كل خلاف وشقاق ، ومن إحياء نفوس وإيقاظ همم ، وتعديل من أسلوب وسلوك لصاحبه - كذلك لصاحبه وعد كريم من البر الكريم بدخول جنات عرضها السماوات والأرض ، والفوز بمغفرة من

---

[١] أحكام الله فى الزهراوين ، د / عبد الحميد ندا ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .

[٢] تفسير الفخر ٥/٥٥ بتصرف .

[٣] تفسير القاسمى ١/٤٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغفور الرحيم ورحمة من الوهاب الكبير ، فمن عفا عفا الله عنه ، ومن أقال عثرات الناس ، غفر الله له وكفر عنه سيئاته ، يقول الخبير البصير سبحانه : ﴿ وليعفو وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾

ويقول تعالى : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾

وصف الله - فى الآيات - عباده المتقين ببذل الندى ، واحتمال الأذى حين وصفهم بالإنفاق فى حالتى اليسر والعسر ، وكف النفس عن الغضب ، بل يكظمون الغيظ ، ويعفون عن الناس ، وأنهم إذا ضعفوا يوما ، فوقعوا فى كبيرة مثل فعل الفاحشة ، أو فى صغيرة ، وهو ما عبرت عن الآية بظلم النفس ، ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ (١) .

إن الله عز وجل اعد لهؤلاء الأخيار من عباده جنات فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وصدق الله

---

(١) التوبة إلى الله ، د / القرضاوى ص ٢١٨ بتصرف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العظيم ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [١]

٤- وأهل العفو والإصلاح أجرهم العظيم الهائل على الله وحده مالك الملك ورب العالمين وأكرم الأكرمين ، يقول تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ﴾

يقول الألوسى عليه رحمة الله :

﴿ فمن عفا ﴾ أى عن المسيئ إليه ﴿ وأصلح ﴾ ما بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء عما صدر منه .

﴿ فأجره على الله ﴾ فيجزيه جل وعلا أعظم الجزاء ، وإبهام الأجر وجعله حقا على العظيم الكريم جل شأنه الدال على عظمته زيادة فى الترغيب [٢] .

فالجملة الكريمة ﴿ فأجره على الله ﴾ أفادت أمرين :

الأول : أنه لا يضيع ، لأن الله لا يخلف وعده

الثانى : أنه أجر عظيم هائل ، لا يعرف قدره إلا الله سبحانه .

ومن كان كذلك فله الكرامة يوم القيامة ، كما روى ابن جرير عن الحسن قال : يقال يوم القيامة ليقم من كان له على الله أجر فما يقوم إلا إنسان عفا [٣]

---

[١] سورة السجدة آية : ١٧ .

[٢] تفسير الألوسى ٤٧/٢٥ بتصرف .

[٣] تفسير الطبرى ٦١/٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- والعفو من أخلاق الكبار من الناس ، التي تجعلهم أهلا للثناء العاطر ، والثواب الجزيل ، يقول تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾

قال ابن كثير رحمه الله :

ثم إن الله تعالى لما ذم الظلم وأهله ، وشرع القصاص قال نادبا إلى العفو والصفح ﴿ ولمن صبر وغفر ﴾ أى صبر على الأذى وستر السيئة .

﴿ فإن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ قال سعيد بن جبير : يعنى لمن حق الأمور التي أمر الله تعالى بها ، أى لمن الأمور المشكورة ، والأفعال الحميدة التي عليها ثواب جزيل ، وثناء جميل [١] .

٦- وأهل العفو هم أهل الفضل والكرم ، والدرجات المرفوعة والبنيان العالى عند الله يوم تتلقاهم الملائكة يقول رسول الله ﷺ إذا جمع الله الخلائق نادى مناد أين أهل الفضل ؟ قال فيقوم ناس وهم يسير - فينطلقون سراعا إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون : إنا نراكم سراعا إلى الجنة فمن أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل الفضل ، فيقولون : وما فضلكم ؟ فيقولون : كنا إذا ظلمنا صبرنا ، وإذا أسئ إلينا حلمنا ، فيقال لهم : ادخلوا الجنة ، فنعم أجر العاملين " [٢] .

---

(١) تفسير ابن كثير ١١٩/٤ .

(٢) الترغيب والتر...

قال عليه الصلاة والسلام : " ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع به الدرجات ؟ قال نعم يا رسول الله ، قال : تحلم على من جهل عليك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك ، وتصل من قطعك " (١) .

٧- ويوم القيامة - أيضا - يباهى الله - عز وجل - بهم ويشهرهم بين الناس ، وفى هذا يقول النبى ﷺ : " من كظم غيظا - وهو يستطيع أن ينفذه - دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء " (٢) .

قال صاحب تحفة الأحوزى :

" دعاهم الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق " أى شهره بين الناس وأثنى عليه وتباهى به .

" حتى يخيره فى أى الحور شاء " كناية عن إدخاله الجنة المنيعة ، وإيصاله الدرجة الرفيعة .

قال الطبرى :

وإنما حمد الكظم لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء ، ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله : ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ ومن نهى النفس عن هواه ، فإن الجنة مأواه والحور العين جزاه .

قال القارى :

وهذا الثناء الجميل ، والجزاء الجزيل إذا ترتب على مجرد

---

(١) المصدر السابق ، وقال رواه الطبرانى والبزار .

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن غريب ك البر ، تحفة الأحوذى ١٣١/٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كظم الغيظ ، فكيف إذا انضم العفو إليه ، أو زاد بالإحسان عليه (١)

وأهل العفو هم أهل محبة الله سبحانه ورضاه ، فعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : وجبت محبة الله على من أغضب فحلم " (٢) .

والجماعة التي يحبها الله ، وتحب الله ، والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحسن والضغائن هى جماعة متضامنة ، وجماعة متآخية ، وجماعة قوية (٣) .

والله ـ سبحانه ـ يتفضل على من أحبه بعظيم الأجر والثواب يوم القيامة ، فعن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ قال :

قال رسول الله ﷺ : " إن العبد ليدرك بالحلم درجة الصائم القائم " (٤) .

٨- وأهل العفو هم أهل العزة والسيادة فى الدنيا والآخرة ، فعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه " (٥)

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الترغيب والترهيب ، وقال رواه الأصبهانى ٣/٣٣٠ .

(٣) الظلال ١/٤٧٥ ، ٤٧٦ .

(٤) الترغيب والترهيب وقال رواه ابن حبان ٣/٣٢٩ .

(٥) رواه مسلم ك البر والصلة باب استحباب العفو والتواضع ، صحيح مسلم بشرح النووى ١٦/١٤١ والترمذى ك البر والصلة ح ٢٠٢٩ ، تحفة الأحوذى ٦/١٤١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال النووى رحمه الله :

قوله ﷺ " ما نقصت صدقة من مال " فيه وجهان :

أحدهما : إنه يبارك فيه ، ويدفع عنه المضرات ، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية

والثانى : إنه وإن نقصت صورته كان فى الثواب المترتب عليه جبر لنقصه وزيادة إلى أضعاف كثيرة .

وقوله ﷺ " وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا " فيه أيضا وجهان :

أحدهما : أنه على ظاهره ، وأن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم فى القلوب وزاد عزه وإكرامه .

والثانى : إن المراد أجره فى الآخرة وعزه هناك .

وقوله ﷺ " وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله "فيه أيضا وجهان :

أحدهما : يرفعه فى الدنيا ويثبت له فى القلوب بتواضعه منزلة ويرفعه الله عند الناس ويجل مكانه .

والثانى : أن المراد ثوابه فى الآخرة ورفعه بها وتواضعه فى الدنيا [١] .

وبعد . . . .

فكم من خصومات تبتذل فيها الأعراض ، وتنتهك فيها الحرمات ويتبادل فيها المتخاصمون ألوان الشتائم والسباب ، وليس لهذه الآثام الكبيرة من علة إلا تحكم الغضب ، وضياع الأدب ، وملاك النجاة من تلك المنازعات الحادة تغليب الحلم على الغضب ، والعفو على

---

[١] صحيح مسلم بشرح النووى ١٤١/١٦ ، ١٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العقاب ، ولاشك أن الإنسان - بطبعه - يحزنه ويسيئه أن يتهجم عليه - أو على من يحب - شخص أو جماعة ، ولا تهدأ نفسه إلا إذا آلم غريمه بقدر ما تسبب له من ألم فى نسه .

لكن المسلك الأرضى ، والسلوك الأنبل - الذى يدل على العظمة والمروءة ، أن يكظم غيظه فلا يتفجر ، وأن يقبض يده فلا يقتص ، وأن يجعل عفوه عن المسيئ نوعا من شكر الله الذى أقدره على الأخذ بحقه إذا شاء ، وليعلم أن هذا الخلق الكريم من أخلاق القرآن ، من تمسك به نال عفو الرحمن ، وأسرع بصاحبه - يوم الدين - إلى مقعد صدق عند مليك مقتدر ، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد على آله وصحبه والحمد لله رب العالمين .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم المراجع

أولا : كتب التفسير

١- أحكام الله فى الزهراوين للدكتور عبد الحميد محمد ندا ، نشر مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ط أولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبى السعود محمد بن محمد العمادى) دار إحياء التراث العربى بدون تاريخ .

٣- أنوار التنزيل وأسرار التأويل لأبى الخير عبد الله بن عمر البيضاوى ، دار إحياء التراث العربى ، بدون تاريخ

٤- البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى ، نشر دار الكتاب الإسلامى ، القاهرة ، ط ثانية ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

٥- التحرير والتنوير لسماحة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس .

٦- تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧- تفسير القرآن العظيم للإمام الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقى ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .

٨- تفسير المراغى للأستاذ الكبير أحمد مصطفى المراغى ، نشر دار الكتب العلمية بيروت ، ط أولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثا : الأحاديث الشريفة

١- أدب الأحاديث القدسية للدكتور أحمد الشرباصى ، مكتبة الشعب القاهرة ، ط أولى ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .

٢- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى للإمام محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى ، ضبط وتوثيق صدقى محمد جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٣- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف للإمام الحافظ عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى ، إصدار وزارة الأوقاف بالقاهرة .

٤- الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير للإمام السيوطى ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥- صحيح مسلم بشرح النووى ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٦- فتح البارى بشرح صحيح البخارى للإمام الحافظ بن حجر العسقلانى ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، ط ثانية ١٤٠٢ هـ .

رابعا السيرة والتراجم :

١- بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة للإمام السيوطى ، مطبعة السعادة ، ط أولى .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبى شهبة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م .

خامسا اللغة :

١- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادى ، دار الجيل ، بيروت .

٢- لسان العرب لأبى الفضل محمد بن مكرم بن على بن منظور ، ط دار صادر بيروت ، الطبعة الثالثة ١٩٩٤ م .

٣- معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط أولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٤- المعجم الوجيز ، طبعة وزارة التربية والتعليم ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .

سادسا : دراسات إسلامية عامة

١- عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة إليهم ، د / محمد أبو النور الحديدى ، مطبعة الأمانة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

٢- موسوعة أخلاق القرآن للدكتور أحمد الشرباصى ، دار الرائد العربى ، بيروت ط ثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner